الفصل الثاني

مظاهر الشعوبية

obeikan.com

الفصل الثاني
مظاهر الشعوبية

□ ■ □ ■

ظهرت الشعوبية كحركة معادية للعروبة والإسلام بمظاهر متعددة ومن ملاحظة تلك المظاهر يمكن حصرها في مجموعتين ، مظاهر معادية للإسلام كعقيدة ونظام وهي التي سنطلق عليها ـ الشعوبية الدينية ، ومظاهر تناولت العرب بالعداء والطعن ، وتناولتهم بالطعن وشوهت حضارتهم وأشادت بحضارة وهم وهذه سنطلق عليها ـ الشعوبية العنصرية .

أولاً : الشعوبية الدينية :

وقد تمثلت هذه حركتين أساسيتين هما الغلو والزندقة وتظاهرت بالإسلام ستارًا لنشاطها .

أ ـ والغلو تجاوز الحد في الدين والغلاة (هم الذين غلوا في حق آلهتهم حتى أخرجوهم عن حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الآلهة) [١] .

بداية الغلو مرتبطة بابن سبأ فهو (أول من كفر : وقال علي رب العالمين) [٢] ، وقد ظهر الغلو في حياة الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقد عثر الإمام (على قوم استحوذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم ... فاتخذوه وادعوه إلها وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا) [٣] ويعتبر البغدادي السبئية

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ ، الطبعة الأولى تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، المطبعة الإسلامية القاهرة سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م فأشير إليه : المعارف وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) كتاب نهج البلاغة : المجلد الثاني ص ٣٠٨ ، مطبعة دار الكتب العربية .

كفرقة هي التي ابتدأت الغلو فقال: (والسبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي ﷺ فقال بعضهم أنت الإله) [1] دون أن يعين شخصًا مسؤولاً عن هذا الغلو ، وسواء أكان عبد الله بن سبأ هو الذي ابتدأ القول بالغلو أم أنصاره من السبئية فإن ابتداء الغلو مرتبط بعبد الله بن سبأ لذلك نرى من المفيد أن نقف على حياته وعلى آرائه لنقف على جذور الغلو ومدى تأثر ابن سبأ بآراء ومعتقدات البلاد التي تجول فيها ومن أجل الوقوف على أثر السبئية في الفرق الغالية الأخرى .

فعبد الله بن سبأ يهودي يماني عاش في اليمن يوم كانت تحت النفوذ الفارسي ، فقد سيطر الفرس عليها يوم استعان سيف بن ذي يزن بكسرى أنو شروان واستمرت هذه السيطرة حتى ظهور الإسلام [2] ، ولا يبعد أن يكون ابن سبأ قد وقف على آراء في الحلول والتناسخ من هؤلاء الفرس ولا سيما إذا ذكرنا أن هؤلاء كانوا من السجناء الذين اتهموا بجرائم مختلفة كان منها اعتناقهم المانوية والمزدكية [3] . وإلى اعتقاد ابن سبأ اليهودية وتأثره بالمعتقدات الثنوية نرى أنه بعد إسلامه لم يستقر في مكان واحد ، فقد (تنقل في الحجاز ثم في البصرة ثم بالكوفة ثم بالشام ... فأخرجه أهل الشام فأتى مصر) [4] ، ولما كانت هذه البلاد قد انتشرت فيها اليهودية والمسيحية والصابئة والزرادشتية والمانوية فمن المحتمل أن ابن سبأ قد وقف على معتقدات هذه الديانات التي كان لها تأثير في آرائه ، وإذا ذكرنا أن ابن سبأ كان يقول: (وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى ـ عليه السلام ـ بهذه المقالة) [5] مقالة الغلو يتبين لنا أن الغلو عند ابن سبأ يتصل بجذور

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٨ .

(٢) انظر ابن هشام سيرة النبي ج١ ص ٦٥ ، مطبعة حجازي القاهرة سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .

(٣) الطبري : ج٢ ص ١١٥ ـ ١١٦ . الطبعة الحسينية .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٣ ص ٥٩ ، مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٣هـ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ طبعة النجف ١٩٣٦م .

يهودية وأخرى ثنوية .

ويؤكد الأستاذ جولد تسيهر أثر اليهودية في حركة الغلو فيقول: (أن دور غلو الغلاة في الأئمة يجب أن لا يبحث عنها في الميدان الفارسي فحسب الهجاداه [1] تقول في إحدى الروايات التي ترويها أن صورة الإنسان موجود بالجزء الأعلى من العرش السماوي هي صورة يعقوب التي صعدت إلى عرش الله) [2] .

ويظهر أثر المسيحية واضحًا في آراء بعض الفرق الغالية حيث قال: ومن الأمور الغالية أن الله أقدر علي بن أبي طالب ﷺ على فعل الأجسام، وخص إليه الأمور والتدبيرات وقال قوم منهم: أن الله سبحانه قد أقدر نبيه عليه السلام على فعل الأجسام واختراع الأنام وهذا كقول من قال من النصارى أن الله خص عيسى عليه السلام بلطيفة يخترع بها الأجرام وينشيء بها الأجسام)[3] . ويوضح الديلمي علاقة المسيحية بآراء الغلاة بقوله في الجملة مذهبهم في علي يقرب إلى مذهب النصارى في عيسى في اتحاده فقالوا أن الإله اتحد بعلي) [4] .

والفكرة الغالية القائلة بأنه لا خلاف بين الأنبياء إلا في المظهر الخارجي في الحقيقة فإنه رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر متباينة هذه الفكرة ترجع إلى الغنوصية المسيحية التي عبرت عنها المنسوبة إلى القديس كليمانس فقال: في الموعظة (١٨) الفقرة (٢١٣) ثمة

---

(١) الهجاداه من الفعل هجيد أي شرح وهي تشمل قصصًا تكمل وتوضح الكتاب المقدس ، انظر التراث اليوناني الحاشية ص٢٢٧.

(٢) بدوي : التراث اليوناني ، مقالة العناصر الأفلاطونية والغنوصية في حديث للأستاذ جولد تسيهر ص ٢٢٧ .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ١١٤ .

(٤) محمد بن الحسن الديلمي : من كتاب قواعد عقائد آل محمد ص ٣٠٢ تحقيق وتصحيح ر . شترطهان مطبعة اسطنبول سنة ١٩٣٨ .

غير نبي صادق واحد هو إنسان خلقه الله وزوده بروح القدس خلال عصور العالم منذ البدء بأسماء وصور متغيرة حتى يشمله الله فيبلغ الراحة الأبدية بعد انقضاء الأعصر التي حددت له كي يؤدي الرسالة التي أخذ على عاتقه أداءها)[1] . كما كان للأفلاطونية أثرها في الإسماعيلية[2] .

وكان للمعتقدات الهندية القديمة أثر في آراء الغلاة ففكرة التناسخ التي هي (علم النحلة الهندية)[3] قد نقلها ماني إلى عقيدته عندما (نفي ... فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منها إلى نحلته)[4] . وكان للمزدكية أثر في آراء بعض الفرق الغالية ففرقة الحلمانية[5] قالت: (أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه)[6] يشبه قول المزدكية الذين (استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء)[7] ، ومن هذا يتبين لنا أن الفرق الغالية قد تأثرت بمعتقدات البلاد التي ظهرت فيها وفي ذلك يقول الشهرستاني:(وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب

---

(١) بدوي : التراث اليوناني ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠ .

(٣) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ مراجعة وتقديم عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مطبعة أحمد على مخيمر بلا تاريخ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٧ .

(٥)الحلمانية : من الفرق الغالية وضع مبادئها (أبو حلمان الدمشقي وأصله من فارس أظهر بدعته بدمشق) (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) ، وادعى أبو حلمان (حلول الإله في الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها) . (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) وأباح المحرمات وفلسف ذلك بقوله أن من عرف الإله على الوصف الذي يعتقده زال عنه الحظر .. (الفرق بين الفرق ص ١٥٦) .

(٦) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .

(٧) الرسيعني : مختصر كتاب الفرق بين الفرق ص ١٢٦ ، حرره فليب حتى ، مطبعة الهلال القاهرة سنة ١٩٢٤، وسأشير إليه : مختصر الفرق وسأعتمد هذه الطبعة .

التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى)[1] .

ولم تنس بعض الفرق الغالية أن تستغل آيات من القرآن وتفسرها وفقًا لهواها لدعم آرائها وغلوها فالبيانية[2] فسرت قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٢٧] أن الله يفنى جميعه إلا وجهه[3] ، وفسرت قوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٣٨] أن المقصود بهذه الآية هو بيان بن سمعان صاحب البيانية[4] .

وزعمت فرقة المنصورية[5] أن المقصود بقوله تعالى : ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور : ٤٤] هو أبو منصور العجلي زعيم المنصورية .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٠ .

(٢) البيانية : فرقة غالية وهم اتباع بيان بن سمعان (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) الذي ادعى الإمامة على أساس التعيين والوصية فقال أن الإمامة صارت في محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه) (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى بيان النبوة والإلوهية (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) ونسب بيان إلى الإمام علي ﷺ الربوبية على أساس الحلول (الملل والنحل ج١ ص ٢٠٣) وادعى أنه المقصود بقوله تعالى هذا بيان للناس (ابن الأثير الكامل ج٥ ص ١٥٥) وقد قتله خالد بن عبد الله القسري حرقًا مع المغيرة بن سعد (الطبري ج ٨ص ٢٤١ الطبعة الحسينية) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ٧٧ طبعة ليدن.

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ .

(٥) المنصورية : من الفرق الغالية تنسب إلى أبي منصور العجلي (المعارف ص٢٦٧) وكان أبو منصور أميا (الفرق بين الفرق ص ١٥٢ والملل والنحل ج٢ ص ١٤) وادعى الإمامة وأن أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فوض إليه أمره وجعله وصيه (فرق الشيعة ص ٦٠) وقال أبو منصور بالتأويل ، وزعم أن الله بعث محمدًا بالتنزيل وبعثه بالتأويل (فرق الشيعة ص٦٠) ، وزعم أن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله (فرق الشيعة ص ٦٠) ، وأنكر الجنة والنار وأولها على أن (الجنة نعيم الدنيا والنار محن الناس في الدنيا) (مختصر الفرق ص ١٥٢) وادعى أبو منصور على أساس التأويل أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وكانت حركة المنصورية هذه خطرة مما دفعت والي العراق يوسف بن عمر أن يلقي القبض على زعيمها أبي منصور ويصلبه (الملل والنحل ج٢ ص ١٤) وذلك في خلافة هشام بن عبد الملك .

واعتمدت فرقة الكيسانية [1] في القول بالبداء على تأويل قوله تعالى : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد : ٢٩] .

ولما كانت مسألة الإمامة من المسائل الهامة في الإسلام فقد استغلت من قبل الغلاة استغلالاً واسعًا لوضع آراء غالية فادعت فرقة الهاشمية [2] (أن الإمام عالم يعلم كل شيء وهو بمنزلة النبي في جميع أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل هو كافر مشرك) [3] .

واستغلت فرقة الأبو مسلمية [4] موضوع الإمامة وغالت فيه فقالت:

---

(١) الكيسانية : من الفرق الغالية تنسب إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي لأنه (كان يقال له كيسان) فرق الشيعة ص ٤٥ ويرى الأشعري أن كيسان هو مولى الإمام علي بن أبي طالب (مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨١) وانقسمت الكيسانية إلى عدة فرق يميزها شيئان (قولهم بإمامة ابن الحنفية والثاني قولهم بجواز البداء على الله (الفرق بين الفرق ص ٣١ ، ٣٢) كما وضع مبدأ البداء ليبرر لنفسه التحدث باسم الله (التبصير في الدين ص ٣٧) ويبرر مواقفه السياسية إذ كان (خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيًا وكيسانيًا) (الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ والخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٣٥) .

(٢)الهاشمية : نسبة إلى ابن هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (فرق الشيعة ص ٧٢) ولم تذكر المصادر زعيمًا آخر لهذه الفرقة ، وقد غالت بحق الإمام فادعت أن الإمام عالم بكل شيء وهو الله (فرق الشيعة ص ٧٢) وهذه الفرقة نقلت الإمامة من أبي هاشم إلى ولد العباس (فرق الشيعة ص ٧٢) وقالت الهاشمية بالتأويل فساعدت على (تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الغلاة تلك العقائد التي انتقلت إليها عن المجوسية والمانوية والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل الإسلام) (فان فلوتن : السيادة العربية الترجمة ص ٨٢ ـ ٨٣) .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة طبعة النجف ص ٧٢ .

(٤)الأبو مسلمية : أصحاب أبي مسلم الخراساني (فرق الشيعة ص ٦٧) ادعت أن أبا مسلم نبي (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥) وقالت بالحلول واستغلته لإضافة صفة الألوهية إلى أبي مسلم الذي (صار إلهًا بحلول روح الله فيه) (الفرق بين الفرق ص ١٥٥) كما قالت بالتأويل فأباحت المحرمات وترك الفرائض وجعلت الإيمان المعرفة لإمامهم فقط (فرق الشيعة) .

إن أبا مسلم نبي [1] ، وزادت على هذا فادعت أنه حي لم يمت [2] .

من هذا العرض يتبين لنا أن بداية الغلو قد ظهرت على يد عبد الله بن سبأ في حياة الإمام علي ﷺ ، ولما كان ابن سبأ يهوديًا ثم أسلم ، وكان على اتصال بالمعتقدات الثنوية فإن الغلو يتصل بجذور يهودية وثنوية وزرادشتية ومانوية ومزدكية) كما كان للمسيحية أثرها في آراء الغلاة إلى آراء النحلة الهندية. ولما كان ظهور الغلو بعد ظهور الإسلام فإن الفرق الغالية استغلت آيات من القرآن لوضع آرائها كما استغلت الاختلاف في الإمامة لوضع آراء غالية من أجل الطعن في الإسلام .

الغلو :

لقد ظهرت الفرق الغالية تحمل آراء غريبة ومن أجل التستر عليها اتخذت من الإسلام شعارًا وستارًا ومن آل البيت محورًا لبدعها فوضعت مبادئ مناهضة للإسلام أخطرها الحلول أو لتناسخ والبداء والتأويل ، استطاعت من خلال هذه المبادئ توجيه ضربات قوية إلى الدين الإسلامي بمعتقدات غريبة عملت على هدمه من الداخل وخنقه من الخارج .

الحلول والتناسخ :

الحلول والتناسخ من الأفكار المتشابهة وفيه يقول أبو العلاء المعري الحلولية قريبة من مذهب التناسخ) [3] وهناك من يستعمل التناسخ الحلول والعكس فالبغدادي يقول: (وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام من الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الإله في الأئمة بزعمهم) [4] وكذلك يستعمل الشهرستاني لفظة التناسخ بمعنى الحلول فيقول : « وقال روح

(١)الفاطمي ذو النسبين : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس تحقيق عباس العزاوي مطبعة المعارف بغداد سنة ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م .

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف .

(٣) أبو العلاء : رسالة الغفران ٤٤٩ تحقيق وشرح الدكتورة بنت الشاطئ الطبعة الثانية .

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .

الإله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه وادعى الألوهية »[1] .

وإذا تتبعنا الحالات التي استعمل فيها لفظا الحلول والتناسخ فإننا نرى أن الحلول استعمل في الأغلب بخصوص انتقال روح الإله في الأشخاص والتناسخ خاص بانتقال الأرواح عامة من شخص إلى آخر أو من شخص إلى حيوان أو من حيوان إلى إنسان .

وفكرة الحلول من الأفكار القديمة وهي تعني حلول الله روحه أو نوره في الأشخاص وقديمًا قال ابن ديصان: (أن نور الله قد حل قلبه) وقال ماني بالحلول وثبته في عقيدته ، وقد ظهرت فكرة الحلول في الإسلام وقصد بها (حلول الله في أشخاص الأئمة)[2] ، وكان عبد الله بن سبأ أول من قال بالحلول لإضفاء صفة الألوهية على الإمام علي وعلى الأئمة من بعده فقال (أن الجزء الإلهي يحل في الأئمة)[3] .

وقد رفض المستشرقان فريد لندر وكايتاني ما نسب إلى ابن سبأ من أنه أول من قال بالغلو وادعى ألوهية الإمام علي والأئمة من بعده ، وردد ذلك برنارد لويس وفلهاوزن وكانت حجة كايتاني هي (أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي عام ٣٥ هجرية بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة وأنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء)[4] ونظرة إلى ما ذكره كايتاني ترينا أنه قد افترض أن المجتمع العربي كان في عام ٣٥هـ مجتمعًا قبليًا وأن هذا المجتمع لا يتحمل آراء ابن سبأ الغالية دون أن يقدم دليلاً على صحة ما ذهب إليه من أن المجتمع العربي كان مجتمعًا قبليًا ، وإذا ذكرنا أن الحلول من الأفكار القديمة أنه كان عند الهنود وقالت به المانوية وادعاه فرعون موسى وتردد في المسيحية فليس

(١) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٣٨ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٦٧ .

(٤) انظر : . THE Origins of Ismailism, p . 25

غريبًا ظهوره في الفترة موضوعة البحث لا سيما وهناك آيات من القرآن يمكن أن تؤول على معنى الحلول منها قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] .

ويذهب الأشعري إلى القول بأن الغلاة قد أحلوا روح الإله في النبي وفي آل البيت من بعده فقد قالت الغالية: (أن روح القدس هو الله عز وجل كانت في النبي ﷺ ثم في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في علي ابن الحسين ثم في محمد بن علي ... وهؤلاء آلهة) [(١)] .

وذهبت الخطابية [(٢)] إلى أن : (النور الذي هو الله كان في عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار في محمد ثم صار في علي بن أبي طالب ﷺ فهم آلهة كلهم) [(٣)] .

ويرى ابن خلدون أن القول بالحلول كان على مذهبين فيقول (والإيمان القول بألوهية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية) [(٤)] إلا أن ابن خلدون لم يذكر أمثلة توضح ما ذهب إليه .

---

(١) مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨١ .

(٢) الخطابية : من الفرق الغالية وتنتسب إلى أبي الخطاب (المعارف ، ٢٦١) وهو محمد بن أبي الخطاب (الفرق بين الفرق ص١٣٨) وادعى أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة (الملل والنحل ج ٢ ص ١١) ولما أعلن أبو الخطاب غلوه هذا تبرأ منه الإمام الصادق (ع) ولعنه ونفاه (الملل والنحل ج٢ ، ١٦ ومختصر الفرق ص١٥٥) وتوجه أبو الخطاب إلى المجتمع وعمل به فأباح شهادة الزور على من خالفه (مختصر الفرق ص ١٥٥) ولما لم يجد من آل البيت حماية وتأييدًا ادعى من نفسه أنه الإله (مختصر الفرق) كما قال بالبداء على الله (ابن الأثير الكامل ج٨ ص ٢١) وقد توسعت الفرقة راشتد خطرها فبعث أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى في جيش فقتل أبا الخطاب في كناسة الكوفة وقضى على هذه الفتنة (مختصر الفرق ص ١٥٥) . .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦ طبعة النجف سنة ١٩٣٦م . ابن خلدون : المقدمة ص١٩٨ . دار الطباعة العربية بيروت ١٩٥٦م .

لقد وضع الغلاة مبدأ الحلول لضرب الإسلام في أهم ركن من أركانه ألا وهو التوحيد وفي ذلك يقول النوبختي (وكلهم متفقون على نفي الربوبية على الجليل الخالق ... وإثباتها في بدن مخلوق على أن البدن مسكن لله وأن الله تعالى نور وروح ينتقل في هذه الأبدان) [١] . ويؤكد الإسفراييني ذلك بقوله: (الحلولية وهم فرق ظهرت في دولة الإسلام كان غرضهم إفساد التوحيد على المسلمين) [٢] . وإلى جانب محاربة الغلاة مبدأ التوحيد عملوا على الطعن في النبي والصحابة وآل البيت ، فالبيانية قالت: إن روح الله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم ثم انتقلت إليه فادعى لنفسه الربوبية) [٣] ، ويبدو أن الفرق الغالية قد أدركت أثر بيت الرسول في الإسلام فتظاهرت بالولاء لواحد منهم وغالت في هذا التظاهر من أجل ضرب مبدأ التوحيد والطعن في آل البيت ومن هذا قول فرقة الذمية [٤] (أن عليا هو الله ويكذبون النبي ويشتمونه ويقولون أن عليا وجه به ليبين أمره فادعى الأمر لنفسه) [٥] .

وفرقة الشريعية [٦] ادعت (أن الله حل في خمسة أشخاص محمد وعلي

---

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ٤٤ ـ ٤٦ .

(٢) الإسفراييني : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين ص ١١٣ ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥ . وسأشير إليه : التبصير في الدين وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .

(٤) الذمية : وهم أصحاب العليا بن ذراع الدوسي وقال قوم الأسدي (الملل والنحل ج٢ ص ٢٢) وسموا بالذمية لأن العليا كان يقول بذم محمد (الملل والنحل ج٢ ص ١٢ ـ ١٣) ونسب فريق من الذمية الإلوهية إلى خمسة أشخاص ... محمد وعلي ... إلخ (الملل والنحل ١٢٢ ـ ١٣) .

(٥) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٦) الشريعية : أتباع رجل يعرف بالشريعي . (الفرق بين الفرق) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن اسمه ، وقد غالت هذه الفرقة بحق الرسول وآل البيت ونسبت إليهم الإلوهية على أساس الحلول (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) وعن طريق الحلول هاجمت الرسول والصحابة (مقالات الإسلاميين ١ ج ص ٨٢) وادعى الشريعي الإلوهية وذلك على أساس الحلول أن الإله قد حل فيه (الفرق بين الفرق ص ١٥٣) .

وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا لهذه الأشخاص الخمسة خمسة شداد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص) [1] .

وكذلك استغلت فرقة الحربية [2] الحلول لضرب التوحيد والنبوة فقالت: (أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم بن محمد بن الحنفية ... وانتقلت منه إلى عبد الله بن عمرو) [3] وبذلك طعنت الحربية في مبدأ التوحيد وأنكرت النبوة كما أنكرت اختتامها بمحمد وطعنت في الأئمة وفقًا لهواها .

واستغلت الراوندية [4] الحلول لنقل الإمامة من البيت العلوي الفرع والحسيني إلى الفرع الحنفي ومنه إلى البيت العباسي ثم إلى أبي مسلم الخراساني فقالت: (إن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة في واحد واحد إلى إبراهيم بن محمد ... وأنهم آلهة).

ولما أدركت الراوندية أهمية أبي جعفر المنصور وأثره في محاربتهم قرروا

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج١ ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) الحربية : وهي من الفرق الغالية وضع أسسها عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي: (الفرق بين الفِرق ص ١٤٩) وقالت بالحلول وطعنت من خلاله مبدأ التوحيد وأنكرت فكرة النبوة واختتامها (الفرق بين الفِرق ص ١٥٣) .

(٣) البغدادي : الفرق بين الفِرق ص ١٤٩ .

(٤) الراوندية : وهي من الفرق الغالية ويسميهم النوبختي الروندية من فرق الشيعة ص ٦٧) ويعتبر الطبري أن (الأبلق تكلم بالغلو ودعا بالروندية وزعم أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة ... واستحلوا الحرمات) الطبري ج٣ ص ١٣٠ طبعة ليدن) وقالت الراوندية بالتناسخ وزعموا (أن روح آدم انتقلت إلى رجل من كبارهم وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور) (ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ التحرير القاهرة) وقالت بإلهية أبي جعفر المنصور (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ص ٢٥) ، وتفرقت الراوندية إلى عدة فرق منها الأبو مسلمية الخرزامية والمقنعية والهريرية والجريانية (النوبختي فرق الشيعة ص ٦٧ ـ ٦٨، خروج الذهب ج٣ ص ٢٥٤) .

الطعن فيه فقالوا بألوهية أبي جعفر المنصور على أساس الحلول وأن (روح آدم حلت في عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور) [١] .

واستغلت الراوندية الحلول للطعن في صحة خلافة الخلفاء الراشدين وذلك من خلال التظاهر بالولاء للعباسيين فقالت: (أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه إمامًا ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله ... ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا إلى أبي جعفر المنصور) [٢] وتبرؤوا من أبي بكر [٣] وعمر ﷺ .

كما استغلت فرقة الأبو مسلمية الحلول لإضفاء صفة الربوبية على أبي مسلم فادعت أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه [٤] ولتأكيد الثقة عند العاملين لإعادة الملك إلى الفرس قالت الأبو مسلمية (أن أبا مسلم حي وأن روح الإله انتقلت إليه وهم على انتظاره ويقولون أن الذي قتله أبو جعفر كان شيطانًا بصورة أبي مسلم) [٥] .

وقد استغل بعض الفرق الغالية الحلول لهدم المجتمع بإباحة المحرمات وترك الفرائض وفي ذلك يقول البغدادي: (ومنهم الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور على مذاهب الحلولية في دعواها حلول روح الإله في الصور الحسنة) [٦] ، ويذهب ابن الجوزي كما ذهب البغدادي يقول في الحلولية أنهم (زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجسامًا حل فيها الربوبية

(١) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ طبعة ليدن .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج٥ ص ١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة .

(٣) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٩٢ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج٣ ص ٢٥٢ ط٣ مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨م تحقيق محي الدين عبد الحميد .

(٥) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٥ .

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١٣ .

ومنهم من قال هو حال في المستحسنات) [١] . ومن هذه الفرق التي ذهبت في استغلال الحلول لهدم المجتمع فرقة الحلمانية فقد ادعى أبو حلمان حلول الإله في الأشخاص الحسنة وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها [٢] ، ولتبرير استباحة المحرمات قال أبو حلمان: (إن عرف الإله على الوصف الذي يعتقده هو زال عنه الحظر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه) [٣] ، ولما كان الإله يحل في الصور الحسنة على رأي الحلمانية فإن معرفة الإله سهلة لا تحتاج إلا جهدا قليلاً في البحث عنه في الصور الجميلة . وأعلن أبو حلمان بعد هذا (أن كل من كان اعتقاده مثل اعتقادي فلا تكليف عليه وكل ما يشتهيه فهو حلال) [٤].

والتناسخ هو رد الروح إلى بدن غير البدن الأول [٥] وهذه الكلمة هي الاصطلاح الصحيح الخاص بفكرة انتقال الأرواح من شخص إلى شخص [٦] ، والتناسخ من الأفكار القديمة فهو (علم النحلة الهندية فمن انتحله لم يكن منها ولم يعد من جملتها [٧] . ويرى أبو العلاء المعري أن فرعون كان على هذا المذهب [٨] ، ويؤيد ابن الجوزي ما ذهب إليه أبو العلاء من أن هذا المذهب ظهر في زمن فرعون وموسى [٩] .

---

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٢٥٦ .

(٢)البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٥٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ص ١٥٦ .

(٥)ابن سينا : رسالة أضحوية في أمر المعاد ص ٤١ الطبعة الأولى سنة ٩٤٩ م مطبعة الاعتماد بمصر، تحقيق سليمان دنيا ، وسأشير إليه : أضحوية .

(٦)بدوي : التراث اليوناني ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٧) البيروني : الفلسفة الهندية ص ٥٢ .

(٨) رسالة الغفران ص٤٤٩ الطبعة الثانية .

(٩) تلبيس إبليس ص ٧٧ .

وقد ذهب القائلون بالتناسخ مذاهب شتى (فرقة يجوزون كرور النفس في جميع الأجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية ... وفرقة يقصرون ذلك على الأبدان الحيوانية ، وفرقة لا يجوزون دخول نفس إنسانية في نوع غير الإنسان أصلاً) [1] .

وانتقال الروح الإنسانية على ضوء مبدأ التناسخ يتم بعد مفارقتها أجسادها وذلك على مقالتين (فرقة ذهبت إلى أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت ... والفرقة الثانية ذهبت إلى أن منعت من انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التي فارقتها) [2] .

وقالت معظم الفرق الغالية بالتناسخ ولم تقف عند حد انتقال الأرواح من جسد إلى آخر بل ذهبت إلى القول بتناسخ روح الإله وفي ذلك يقول البغدادي: (وأما أهل التناسخ في دولة الإسلام... فقالت بتناسخ روح الإله في الأئمة) [3] والشهرستاني يذهب إلى ما ذهب إليه البغدادي فيقول حكاية عن أحد الغلاة: (... وقال روح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه) [4] .

ولقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لمحاربة مبادئ الإسلام ولما كان مبدأ التوحيد هو المبدأ الأساسي فقد وجهوا إليه حملتهم المركزة فقالت فرقة البيانية: (أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة) [5] وبذلك أوجدت عددًا من الآلهة وطعنت مبدأ التوحيد كما قللت من شأن النبوة والإمامة .

(١) رسالة أضحوية : ص ٤١ .
(٢) ابن حزم : الفصل في الملل ج١ ص ٩٠-٩١ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٤) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣ .
(٥) الرسعني : مختصر الفرق ص ١٤٥ .

وقد استغل عبد الله بن معاوية صاحب فرقة الجناحية [1] التناسخ وادعى الإلوهية بموجبه فقال: وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه، وادعى الإلوهية والنبوة معا [2].

ويوضح فلها وزن كيف استغلت الفرق الغالية مبدأ التناسخ للطعن في النبوة فيقول: «وقالوا أن روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفاة السابق، ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد أو يتابعون حتى يبلغوا ألف نبي وتبعًا لهذا فإن الأنبياء جميعًا واحد يبعث في كل منهم من روح الله والحق أن النبي الصادق واحد يعود من جديد» [3].

وذهبت فرقة الكاملية [4] في استعمال التناسخ في النبوة والإمامة معا فقالت: (الإمامة نور يتناسخ من شخص يكون نبوة ومن شخص يكون

---

(١) الجناحية من الفرق الغالية سميت بذلك لأن مؤسسها هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين (انظر مختصر التحفة الإثني عشرية ص ١١٩ وقالت بالحلول (الفرق بين الفرق ص ١٤٥) وادعى عبد الله النبوة والإلوهية على أساس التناسخ (الملل والنحل ج١ ص٢٠٢) وقد ألغى المعاد واعتبر الثواب والعقاب في الأرواح المتناسخة (الملل والنحل ج١ ص٢٠٢).

(٢) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٣) الخوارج والشيعة الترجمة العربية ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٤) الكاملية : من الفرق الغالية أتباع أبي كامل (الملل والنحل ج١ ص١٧) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن اسمه، وقد فضل أبو كامل النار والطين والتراب (العراقي : الفرق المفترقة ص٣١) وصوب موقف إبليس وامتناعه عن السجود لآدم (الفرق بين الفرق ص٣٥)، وكان الشاعر بشار بن برد يقول بمقالة الكاملية حيث قال: (بالرجعة وتفضيل النار على الأرض) ينشد :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

انظر الملل والنحل ج٢ ص ١١٩ وقالت هذه الفرقة بالتناسخ (الملل والنحل ص ١١) وبالوهية الأنبياء على أساس تناسخ روح الله فيهم (التحفة الإثني عشرية ص ١٠) كما طعنت في الصحابة جميعًا فقالت: (أن الصحابة) كفروا بتركهم بيعة علي وكفر علي بتركه قتالهم) (الفرق بين الفرق ص ٣٥).

إمامه وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة) [١] . وهكذا أصبحت النبوة والإمامة أمرًا يتناقله الغلاة من شخص إلى آخر فأوجدوا عددًا من الأنبياء والأئمة وفقا لأهوائهم . ولم تقف الكاملية عند هذا الحد بل ذهبت إلى الطعن في مبدأ التوحيد فقالت بتناسخ روح الله تعالى التي (كانت في آدم ثم في شيت ثم صارت إلى الأنبياء) [٢] .

واستعملت فرقة البشرية [٣] التناسخ للطعن في الإمامة فاعتبروا (الإمامة قائمة على التناسخ فقالوا ... أن الأئمة واحد وإنما هم منتقلون من بدن إلى آخر) [٤] .

وقد استغلت الفرق الغالية التناسخ لنسخ مبدأ المعاد وإنكار الجنة والنار والطعن بالفرائض وإباحة المحرمات فجعلوا الثواب والعقاب في الأرواح المتناسخة فقالوا: (إن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص) [٥] وقد فرقت الفرق الغالية بين أرواح الصالحين والأشرار فقالوا: (فأرواح الأبرار والصالحين تنتقل إلى أجساد الصالحين والأبرار وأرواح الأشرار والفاسقين تنتقل إلى أجساد

(١) الدهلوي : مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٠ نقله من الفارسية إلى العربية غلام محمد واختصره محمود شكري الألوسي وحققه وعلق عليه محب الدين الخطيب المطبعة السلفية القاهرة سنة ١٣٧٣ هـ وقد اعتمدت هذه الطبعة .

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ج٢ ص ١١ ـ ١٢ .

(٣) البشرية : وهم أصحاب محمد بن بشر مولى بني أسد من أهل الكوفة (فرق الشيعة ص ١٠٤) وغلت هذه الفرقة في الإمام موسى بن جعفر ـ عليه السلام ـ فادعت أنه لم يمت ولم يحبس وأنه حي غائب وأنه القائم المهدي) (فرق الشيعة ص ١٠٢) وكذلك أنكرت البشرية جانبًا من الفرائض (فزعموا أن الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم رمضان وأنكروا الزكاة والحج وسائر الفرائض) (فرق الشيعة ص ١٠٥) وقالت بالتناسخ ولا سيما تناسخ الإمامة (فرق الشيعة ص١٠٥) .

(٤) النوبختي : فرق الشيعة ص١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

الفاسقين والأشرار وكل جسد ينتقل إليه روح صالح يكون عيشه رضيا هنيئًا وكل جسد ينتقل إليه روح فاسق شرير يكون عيشه متعصبًا) [1] ويذهب ابن الجوزي إلى ما ذهب إليه العراقي فيقول في أهل التاريخ: وقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة عليها المشاق) [2] .

وهكذا جعلت هذه الفرق الثواب والعقاب في الأجساد التي يقع عليها التناسخ وبذلك أنكروا الجنة والنار ويعلق الشهرستاني على بدعتهم بقوله: كفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الأشخاص) [3] .

وعلى هذا أنكر الغلاة القائلون بالتناسخ البعث ، وقالوا بدوام الحياة وفي ذلك يقول فلهاوزن حكاية عنهم : (فالأرواح تنتقل بالموت من وإلى جسم ، وثمة بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا) [4] .

يرى ابن سينا أن القائلين بالتناسخ انقسموا إلى فرق (فرقة توجب التناسخ للنفس الشقية وحدها حتى تستكمل وتستعد فتخلص من المادة وفرقة توجب ذلك للنفسين جميعًا الشقية والسعيدة ... الشقية في أبدان والسعيدة في أبدان ذات نعمة وراحة) [5] .

من خلال مبدأ التناسخ أنكرت الفرق الغالية الفرائض وأباحت المهارة من أجل هدم المجتمع وبذلك يسهل عليهم التسلل لهدم الإسلام فقد

(١) العراقي : الفرق المفترقة ص ٣٨ـ٣٩ .

(٢) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص٧٦ـ٧٧ .

(٣) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ـ٢٠٣ .

(٤) فلهاوزن : الخوارج والشيعة الترجمة ص ٢٤٨ .

(٥) ابن سينا : رسالة أضحوية ص ٤١ .

أباحت فرقة الجناحية المحرمات فكانوا (يبيحون المحرمات ويعيشون عيشة من لا تكليف عليه) [١] ودعت فرقة الحارثية إلى إباحة المحرمات على أنواعها[٢] . واستغلت الراوندية التناسخ للطعن في الفرائض وإشاعة الموبقات فقالت: (أن الروح التي كانت في عيسى ابن مريم صارت في علي ابن أبي طالب ثم في الأئمة ... وأنهم آلهة واستحلوا الحرمات) [٣] وكذلك أشاعت الفرق الغالية المحرمات فهم (يستحلون شرب الخمر ومباشرة الأخوات ومباشرة نساء بعضهم بعضًا فيجمعون النساء في موضع واحد ثم يهجمون عليهن دفعة واحدة فيأخذ كل واحد من الرجال من شاء منهن ويقولون هذا صيد والصيد حلال) [٤] .

واستغلت بعض الفرق التناسخ للطعن في الصحابة فجوز بعض الفرق في أول الأمر (كرور النفس في جميع الأجساد البالية نباتية كانت أو حيوانية) [٥] وقد فلسفت لهذه الفرق ذلك بقولها: أن (النفس إذا قدرت على تهيئة مسكن لها مثل بدن الإنسان فهي قادرة على تهيئة مساكن لها دونه ... فالأبدان الإنسانية والحيوانية ... داخلة في ذلك التقدير والتدبير فلا يمتنع أن تسكن النفس في الأبدان غير الإنسانية) [٦] ولم ينس هؤلاء الغلاة أن يؤلوا آيات من القرآن في سبيل تثبيت فكرة تناسخ أرواح بني الإنسان في الحيوانات فقالوا: أن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الانعام: ٣٨) أي أنهم مشاركون لنا في نفوسهم بالقوة[٧] وعلى هذا نجد فرقة الجناحية تقول: (أن الأرواح تتناسخ من

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ .
(٢) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ . ومختصر الفرق ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٣) الطبري : ج٣ ص ٤١٨ الطبعة الحسينية .
(٤) العراقي : الفرق المفترقة ص ٣٨ ـ ٣٩ .
(٥) رسالة أضحوية : ص ٤١ .
(٦) ابن سينا : رسالة أضحوية ص ٨٦ .
(٧) المصدر السابق ص٤٢ .

شخص إلى شخص ... إما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات) [1] كما أجازوا (تناسخ الأرواح في الصور المختلفة وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب وروح الكلب إلى إنسان) [2] وبذلك أخذوا في الهجوم على الصحابة من خلال القول بالتناسخ فكان بعض الغلاة يأخذ (البغل أو الحمار فيعذبونه ويضربونه ويعطشونه ... على أن روح أبي بكر وعمر دخلت فيه) [3] ، ولم يقف الأمر عند هذين الشيخين الجليلين بل تجاوزهما إلى عائشة زوجة الرسول ﷺ وذلك (بأن كانوا يأخذون عنزة تضرب وتعذب لأن روح عائشة قد حلت في هذا الحيوان) [4] .

ومن الآراء الغالية القول بالبداء وهو لغة مصدر بدا يبدو إذا عدل عن رأي كان يراه إلى رأي آخر [5] حيث يبدو للإنسان رأي في الشيء لم يكن الرأي له هذا الرأي من قبل بأن يتبدل عزمه من العمل الذي كان يريد أن يقوم به ويحدث ما يغير رأيه فيبدو له تركه بعد أن كان يريد عمله [6] .

والبداء من المبادئ التي قال بها بعض الفرق الغالية وقصد به أن الله يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله فهو لهذا تغيير الإرادة الإلهية لقرار قد قرر قبلا [7] . وفي ذلك يقول الخياط المعتزلي على لسان الغلاة بشأن البداء : (فإذا فعل فعلا وخبر بخبر ثم تبين له أنه ليس بصواب بدا له فيه نقل عنه إلى غيره) [8] ويرى الأسفراييني أن المختار بن أبي عبيد الثقفي أول من قال بالبداء على أثر ادعائه علم الغيب وأن الله سبحانه وتعالى يخبره عما سيقع فحينما بعث جيشًا بقيادة أحمد بن شميط لمقاتلة مصعب بن الزبير قال

(١) الملل والنحل ج١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٦٢ .
(٣) ابن حزم : الفصل في الملل ج٤ ٢ص ١٨٢ .
(٤) فريد لندر : . The journal of the American Oriental Society, Vol . 28 A,p . 58
(٥) انظر مختصر الفرق الحاشية ص ٣٥ .
(٦) انظر أصول الكافي ج٣ ق ١ ص ٢١١ .
(٧) محمد جابر عبد العال : حركات الشيعة المتطرفين ص٧٩ ، مطبعة المحمدية القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .
(٨) الخياط المعتزلي : الانتصار ص ٩٥ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت .

لقائده: (أوحي إلي أن الظفر لكم . فهزم ابن شميط ... فعاد إليه فقال أين الظفر الذي وعدتنا؟ فقال له المختار: هكذا قد وعدني الله ثم بدا)[1] ، ولم ينس المختار أن يؤيد قوله هذا بآية من القرآن الكريم ويفسرها وفقًا لما يريد فقال أنه سبحانه وتعالى قال : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٩] .

ويرى النوبختي أن أبا الخطاب صاحب الخطابية هو الآخر قال بالبداء فيقول: (فحينما أرسل أبو جعفر المنصور عيسى بن موسى لمقاتلته قال أبو الخطاب: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضركم ولا تعمل فيكم فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة ، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً قالوا له: ما نرى ما يحل بنا من القوم؟ قال لهم: إن كان قد بدا الله فيكم فما ذنبي؟)[2] .

ويؤيد الطبري ما ذهب إليه النوبختي فيقول: أن (عبد الله بن نوف ... حين خرج الناس إلى حروراء ... والتقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ورجع الناس منهزمين ولقيه عبد الله بن شريك وكان قد سمع مقالته فقال: ألم تزعم لنا يا ابن نوف أنا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾(الرعد: ٣٩) وأخذها ابن نوف من الخطابية)[3] .

ويؤيد ابن الأثير ما ذهب إليه النوبختي والطبري فيقول على لسان أحد أنصار أبي الخطاب: (ألم تقل أن سيوفهم لا تعمل فينا ؟ فقال: إذا كان قد بدا الله فما حيلتي)[4] .

---

(١) الأسفراييني : التبصير في الدين ص ٣٣ .

(٢)النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٩ ـ ٦٠ . تصحيح هـ . ريتر مطبعة الدولة اسطنبول سنة ١٩٣١م .

(٣) الطبري : ج ٢ ص ٧٠٦ و ٧٣٢ . طبعة أوربا .

(٤) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٢١ .

وعلى الرغم من هذا فإن فكرة البداء أصبحت صفة ملازمة لفرقة الكيسانية وفي ذلك يقول البغدادي: (وأن القول بالبداء من وضع الكيسانية وقد توزعت إلى عدة فرق وظهر لها مجموعة آراء إلا أن الكيسانية يميزها عن بقية الفرق أمران أحدهما قولهم بإمامة ابن الحنفية والثاني قولهم جواز البداء على الله) [١] .

ولقد استغلت الفرق الغالية فكرة البداء للطعن في ذات الله وقدرته واستغلت هذه الفكرة في إفساح المجال لادعاء النبوة والطعن بها وفي ذلك يقول النوبختي: (فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم محل الأنبياء رعيتها في العلم فيما كان ويكون ... قالوا .... أنه سيكون في غد وفي الأيام كذا وكذا فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم ألم نعلمكم هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء ... وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون قالوا بدا الله في ذلك كونه) [٢] . والقول بالبداء فيه طعن في مبدأ التوحيد وقدرة الله وفي ذلك يقول الخياط: (ولا شك أن الموصوف بهذا منقوص والنقصان من الحدث ويتعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا) [٣] .

وفي مبدأ البداء خطورة على الدين وعلى المجتمع ، فمن اليسير أن البداء أكثر من مدع فيدعي العلم عن الله والتحدث عن الغيب المعتمد على البداء لتبرير الحالات التي يعد بها المدعي ولا تتحقق . كما وأن البداء قد استغل لتبرير التلون السياسي والتقلب في المذاهب فالمختار الثقفي صاحب هذه الفكرة (كان خارجيًا ثم صار زبيريًا ثم صار شيعيًا كيسانيا) [٤] ، ويبدو أن المختار قد برر لنفسه ولأنصاره هذا التلون على الله بأنه سبحانه وتعالى كان

(١)الفرق بين الفرق ص ٢٦ .

(٢)النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٤ ـ ٨٥ . طبعة إستانبول .

(٣) الخياط : الانتصار ص ٩٥ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٩٧ .

يبدو له فيتحول هو بحسب ذلك ويعلق فلهاوزن على تقلب المختار بقوله : (ابتدع القول بالبداء في الله لكي يبرر تقلبه هو من مذهب إلى مذهب)[1] .

التأويل :

والتأويل من المبادئ الأساسية التي وضعتها الفرق الغالية لمحاربة الإسلام وهو (الرجوع إلى المآل ومآل الكلام مفاده وفحواه)[2] ، ومنشأ هذه الفكرة قولهم: (أنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه)[3] .

وقد استغل الغلاة هذه الفكرة وطبقوها على القرآن الكريم فقالوا: (إن القرآن له ظاهر وباطن وتنزيل وتأويل)[4] ، وتلمسوا آيات من القرآن لدعم فكرتهم فقالوا أن في قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠] وقوله عز وجل : ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام : ١٢٠] وقوله سبحانه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ٧] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٥٣] تأييدًا لما ذهبوا إليه من القول بالتأويل ...

ولما كان التأويل يبحث في مآل الكلام وفحواه فإن معظم الفرق الغالية قد أخذت بتأويل آيات القرآن وفقًا لأغراضها ، واستغلت ذلك في محو مبادئ الإسلام ، فتوجهوا إلى مبدأ التوحيد فأولت فرقة البيانية من أجل الطعن فيه

---

(١) الخوارج والشيعة ص ٢٣٥ .

(٢) ابن حيون : أساس التأويل ص ٥ تحقيق عارف تامر ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٠م .

(٣) المصدر السابق ص٢٨ .

(٤) عبد الجبار الأسد أبادي : المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٠ .

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أن الله يفنى جميعه إلا وجهه [1] أما فرقة المقنعية [2] فقد ادعي مؤسسها لنفسه الإلهية [3]، وصور هذه الإلهية تصويرًا خاصًا معتمدًا على التأويل، فقال الإله وأنه يظهر مرة بصورة آدم، وكان يظهر بعده في صورة كل واحد من الأنبياء، وظهر في صورة علي ثم في صورة أولاده على الترتيب، ثم في صورة أبي مسلم، وقد ظهر الآن في صورة هشام بن الحكم يعني به نفسه [4].

وقد استغل الغلاة التأويل للطعن في النبوة وأولوا الآيات القرآنية في ذلك فادعت فرقة المنصورية على لسان مؤسسها النبوة على أساس التأويل، فقال: (إن الله بعث محمدًا بالتنزيل وبعثه بالتأويل) [5]، ولم يقف أبو منصور عند هذا الحد بل ادعى (أن الرسل لا تنقطع والرسالة لا تنقطع) [6]، وبذلك طعن في نبوة محمد، وأنكر أنه خاتم الأنبياء، ولكي يؤيد ادعاؤه النبوة قال أبو منصور في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: ٤٤] أنه الكسف الساقط من السماء، وأنكرت الباطنية [7] النبوة، واستعملت التأويل

(١) ابن الأثير: الكامل ج٥ ص٧٧. مطبعة التحرير القاهرة.

(٢) المقنعية: من الفرق الغالية ينسبها النوبختي إلى (هاشم بن حكيم المروزي الملقب بالمقنع) (فرق الشيعة ص٦٨) ويسميه الإسفراييني هشام بن الحكم. التبصير في الدين ص ١١٤، وقد ادعى المقنع لنفسه الإلوهية (الفرق بين الفرق ص١٥٥) وذلك على أساس تأويل الربوبية وأنها صورة مختلفة (التبصير في الدين ص ١١٤ - ١١٥) وقد أباحت المقنعية وأسقطوا الصلاة والصيام وسائر العبادات (الفرق بين الفرق ص ١٥٥).

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٥٥.

(٤) التبصير في الدين ص ١١٤ - ١١٥.

(٥) النوبختي: فرق الشيعة ص ٦٠.

(٦) الملل والنحل ج٢ ص ١٤.

(٧) الباطنية: وسبب تسميتهم بالباطنية لقولهم بالإمام الباطن (مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١) واعتبروا (أن كل من عمل بالباطن دون الظاهر فليس هو مؤمن ومن عمل بالباطن والظاهر فهو الموفق) (خمس رسائل إسماعيلية الرسالة الثانية ص١٢٦) وقالت الباطنية بإمامة محمد بن إسماعيل (التبصير في الدين ص٤١) ويحدد الإسفراييني بدايتها في زمن المأمون (المصدر السابق ص٤١) وكان مؤسس هذه الفرقة ميمون بن ديصان المجوسي (الفرق بين الفرق ص ١٧٠) وقالت هذه الفرقة بالتأويل وأنكرت النبوة (المصدر السابق ص ١٧٧).

دليلاً على إنكارها فقالوا : (أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة ... وإذا ذكروا النبي والوحي قالوا أن النبي هو الناطق والوحي أساسه الفاتق [١] وإلى الفاتق تأويل نطق الناطق) [٢] وهكذا ضاعت النبوة بين الناطق والفاتق وأمست حبا للزعامة .

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل تضرب مبدأ المعاد وما يتعلق به من بعث الموتى والجنة والنار فأولت المنصورية (الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس في الدنيا) [٣] وذهبت في تشويه صورة الجنة من خلال قولها بالتأويل فادعت (أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو أمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام). [٤] ومن أجل تأكيد فكرة خلود الحياة ،قالت فرقة المعمرية [٥] : (أن الدنيا لا تفني) ، وأنكر معمر الجنة والنار على أساس التأويل ، فزعم أن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية ، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية) [٦] ولتوكيد إلغاء فكرة المعاد والحساب أباح المعمرية شرب الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الصلاة [٧] ، كما استعملوا التأويل لإلغاء

(١) الناطق والفاتق من تأويلات الباطنية بخصوص النبي والإمام والعالم ، فقد ادعوا أن معجزة النبي الصادق ليست غير أشياء تنتظم بها سياسة الجمهور فينتظم بذلك النبي شريعة يتبعها الناس .. والعالم عندهم ناطق الشريعة والإمام ناطق الحقيقة وهو المبدع الكلي ، انظر ذلك مفصلاً في الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم حسن ص٤٣ ـ ٤٤ ، ٦٢ ، ٦٣ ط٣ القاهرة ١٩٦٤ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٧ .

(٣) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٥٢ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج٢ ص ١٥٢ .

(٥)المعمرية : فرقة غالية تفرعت عن الخطابية وزعمت أن الإمام بعد أبي الخطاب هو معمر (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) ولم تذكر المصادر شيئًا آخر عن بقية اسمه ، وقد غالت في الإمام الصادق وادعت نبوته (مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٣) ونقلت النبوة من الصادق إلى أبي الخطاب ومنه إلى معمر أن الدنيا لا تفنى وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ... وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ... واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات وتركوا الحلال (الملل والنحل ج٢ ص ١٦) .

(٦)الملل والنحل ج٢ ص ١٦ .

(٧)المصدر السابق ج٢ ص ١٦ .

الفرائض وإباحة المحرمات ، فقالت فرقة الخطابية: (أن الزنا رجل وأن الخمر رجل وأن الصلاة رجل وأن الفواحش رجل) [١] وكذلك أولت فرقة الأبو مسلمية والفرائض فقالوا (بالإباحات وترك جميع الفرائض وجعلوا الإيمان بالمعرفة لإمامهم فقط) [٢] والجناحية (استحلوا المحرمات ووجوب العبادات وتأولوا العبادات على أنها كنايات عمن تجب) [٣] وأنكرت الباطنية الفرائض على أساس التأويل فقالت :(الصلاة مولاه إمامهم والحج زيارته والصوم عدم إفشاء سره) [٤] . أما فرقة البشرية فقالت: (أن الفرض من الله ، فرض عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وأنكروا الزكاة والحج وسائر العبادات الأخرى) [٥] وتحولت البشرية بعد ذلك إلى المجتمع فعملت به هدماً بإباحة المحارم في الفروج والغلمان) [٦] .

وذهبت القرامطة [٧] إلى تأويل الفرائض وشروطها وفقًا لهواها فقالت:

---

(١) الكشي : معرفة أخبار الرجال ج٣ ص ١٨٨ المطبعة المصطفوية سنة ١٣١٧هـ .
(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة النجف ١٩٣٦ .
(٣) الرسيفني : مختصر الفرق ص ١٥٣ .
(٤) البشبيشي: الفرق ص ٥٩ .
(٥) فرق الشيعة ص ١٠٤ .
(٦) انظر فرق الشيعة ص ١٠٥ ومعرفة أخبار الرجال ج٥ ص ٢٩٨ .
(٧) القرامطة : هي من الفرق الباطنية وضع أسسها (حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح) (التبصير في الدين ص ٢٩) . وقد اختلف المؤرخون في أصل كلمة قرمط فالطبري يرى (أن ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة يظهر الزهد والتقشف وقد مرض هذا فاعتني به رجل يعمل على أثوار أحمر العينين وكان أهل القرية يسمونه كرميته ... وهو بالنبطية أحمر العينين) (الطبري ج١١ ص ٣٣٧) وخففت كرميته حتى أصبحت قرمطية ، ويذهب الطبري في تفسير هذه الكلمة مذهبًا آخر فيقول (قرمط رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ويقلب بقرمط) (الطبري ج١١ ص ٣٣٧) ويذهب ابن الجوزي إلى ما ذهب إليه الطبري في معنى وابتداء القرامطة (تلبيس إبليس ص ١١٠) ويأتي الدهلوي برأي آخر فيقول (وقيل أن قرمط اسم لقرية من قرى واسط منها حمدان المخترع وهو قرمطي وأتباعه قرامطة وقيل غير ذلك) (انظر مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٧) . وقالت القرامطة بالتأويل ومن خلاله أنكرت المحرمات فقالت: (وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعي العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليست له زوجة في حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي ... وما وجه ذلك ألا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الإله الذي يزعمون) (الفرق بين الفرق ص١٧٨ ، ١٧٩) .

(أن الجنة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد) [1] ، وادعت (أن الصلاة أربع ركعات قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ... والقبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين، والصوم يومان في السنة هما المهرجان والنوروز) [2] .

وقد استغلت الفرق الغالية التأويل للهجوم على الإمامة وصحابة الرسول وآل بيته فقالت فرقة المغيرية [3] في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] أن الظلوم الجهول أبو بكر [4] ، وقالت المغيرية قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر : ١٤٧] .فالشيطان عندهم عمر بن الخطاب .

وأولت المقنعية الدين بكل مقوماته فقالت: (الدين معرفة الإمام) [5] وأي إمام هذا الذي معرفته تعني معرفة الدين وأي دين هذا الذي معرفته تكون في معرفة الإمام . ولما أرادت فرقة الهاشمية الطعن في النبوة والإمامة قالت بالتأويل فادعت: (أن الإمام عالم يعلم كل شيء وهو النبي في جميع

(١) المصدر السابق ص١٧٧ .

(٢) الطبري : ج١١ ص ٣٣٧ الطبعة الحسينية .

(٣) المغيرية : من الفرق الغالية مؤسسها المغيرة بن سعيد مولى بجيلة (التبصير في الدين ص ١٠٨) وكان المغيرة ساحرًا (الطبري ج٨ ص٢٤٠) وكان سبئيًا (البصير في الدين ص١٠٨) وقال المغيرة (بإلهية علي) (ابن الأثير الكامل ج٥ ص١٥٥ ط ليدن) وقال بالتشبيه فادعى (أن معبوده ذو أعضاء وأن أعضاءه على صورة حروف الهجاء) (الفرق بين الفرق ص ١٣٨) كما قال تأويل (مختصر الفرق ص١٤٧) وقد استنكر الإمام الصادق دعوة المغيرة منها ولعنه لأنه كان يكذب على الإمام الصادق (الكشي : معرفة أخبار ، ج٣ ص ١٤٦ ، و١٤٧) وقد قتله خالد بن عبد الله القسري حرقًا مع بيان سمعان صاحب البيانية (انظر الطبري ج٨ ص ٢٤١ الطبعة الحسينية ٢٦٧ .

(٤) الرسيعني : مختصر الفرق ص ١٤٧ .

(٥) مختصر الفرق ص١٤٧.

أموره ومن لم يعرفه لم يعرف الله وليس بمؤمن بل كافر مشرك)[1] .

وأولت فرقة الحفصية[2] قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ [البقرة : ٢٠٤] أنها نزلت في الإمام علي وأنه المقصود بقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ ، وذهبت الحفصية في تأويل الإيمان فقالت: (أن بين الإيمان والشرك معرفة الله فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار أو عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا فهو كافر بريئ من الشرك ومن جهل بالله وأنكره فهو مشرك)[3] ولم تنس فرقة الحفصية أن تمتدح ابن ملجم مستغلة التأويل فقالت أنه هو الذي أنزل فيه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :١٠٢] .

من هذا يتبين أن الفرق الغالية قالت بالتأويل واستعملته لمقاومة الإسلام وهدم مبادئه وتوجهت إلى القرآن وهو دستور الإسلام والمرجع الأول والأهم في الحركة الإسلامية فعمدت إلى التأويل فيه فقالوا : (من معجزات وغرائب تأليفه أنه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته لا يوجد إلا عندهم ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله جدهم ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ويعطون كل أحد منهم ما يستحقون ويمنعون من يجب منعه

(١) المصدر السابق ص١٤٧.

(٢) الحفصية : وهي من فرق الخوارج نسبة إلى حفص بن أبي المقدام والنحل والملل ج١ ص ١٨٣) ومن آرائه الغالية قوله أن بين الإيمان والشرك معرفة الله ... (مختصر الفرق ص ٦٦) وقالت الحفصية بالتأويل واستعملته في شخصية الإمام علي (كرم الله وجهه) (انظر مختصر الفرق ص ٦٦) استعملت التأويل للإشادة بعبد الرحمن بن ملجم (المصدر السابق ص٦٦) .

(٣) مختصر الفرق ص ٦٦ .

ويدفعون عنه من استحق دفعه) [1] وهذا التقسيم للقرآن إلى ظاهر وباطن وجعل الظاهر معجزة الرسول والباطن معجزة الأئمة وأن فهمه وقف عليهم تقييد للمسلمين وتضيق على حريتهم الفكرية وإبعاد للقرآن عن المهمة التي أنزل من أجلها وتحويله أثرًا جامدًا لا حياة فيه وفي ذلك هدم للإسلام وتجميد للحضارة العربية ويعلق القاضي عبد الجبار الأسد أبادي على تأويلهم هذا بقوله: (فجعلوا ذلك طريقًا إلى القدح بالإسلام ... لأنه مبني على القرآن والسنة فإذا أخرجوا من القرآن أن يعرف به شيء ... وجعلوا المرجع إلى الباطن الذي لا يعلم إلا من جهة الحجة ... وذلك متعذر فقد سدوا باب معرفة وطعنوا فيه) [2] فلا شك أن القول بالتأويل كان أبرع وأخطر وسيلة استغلها الغلاة للهجوم على الإسلام وهدم مقوماته من الداخل وفي ذلك يقول البغدادي: (أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات يتأولون عليها القرآن والسنة) [3] .

(١) ابن حيون : أساس التأويل ص ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦ ص ٣٦٣ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٧٠ .

الزندقة :

□ ■ □

١. الزندقة في الحضارة الإيرانية :

لفظ الزنديق فارسي معرب [١] فليس (في كلام العرب زنديق ، فإذا العرب معنى ما تقوله العامة قالوا ملحد ودهري) [٢] وقد عرب الزنديق (في العراق أخذا من المصطلحات الإيرانية أيام حكم الساسانيين) [٣] لذلك وجب أن نقف على معنى الزندقة واستعمالها في الإيرانية .

الزندقة :

كانت الزرادشتية الديانة الرسمية طوال فترة الساسانيين التي امتدت من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٥١م [٤] ومرت فترات محدودة اعتنق خلالها الملك سابور المانوية بضعة عشر سنة ، واعتنق الملك قباذ المزدكية حقبة من الزمن [٥] .

لقد ارتبطت الزندقة بماني ارتباطًا زمنيًا وفكريًا ، والدينوري أول المؤرخين المسلمين الذين أطلقوا على ماني صفة زنديق في معرض الذم حيث قال (في زمن سابور ظهر ماني الزنديق وأغوي الناس) [٦] ولم يوضح الدينوري أسباب الحكم على ماني بالزندقة وكيف أنه أغوى الناس ، ويفسر

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص١ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ١٠٨ ـ ١٠٩ الطبعة السابعة مطبعة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية المجلد العاشر ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ ، مطبعة القاهرة .

(٤) فجر الإسلام ص ٩٨ ـ ٩٩ ، الطبعة السابعة ، وسأعتمد هذه الطبعة.

(٥) الأخبار الطوال ص ٤٩ .

(٦) انظر الأخبار الطوال ص٢٥ وتاريخ اليعقوبي ج١ ص١٢٩ طبعة ١٣٥٨هـ ج٢ ص١٨٨ الطبعة الحسينية وإيران في عصر الساسانيين.

الطبري أسباب قتل ماني من قبل الملك هرمز فيقول: كان (يدعوه إلى دينه فوجده داعية للشيطان) [1] إلا أن الطبري لم يبين ماهية الدين الذي دعا إليه ماني كما لم يوضح المقصود بالشيطان الذي ذهب هرمز إلى القول بأن ماني يدعو إليه .

والمسعودي أكثر المؤرخين وضوحًا وأقدمهم في ربط الزندقة بماني زمنيًا إذ يقول: (وفي أيام ماني هذا ظهر اسم الزندقة) [2] كما أنه أول المؤرخين الذين أوضحوا العلاقة الفكرية بين ماني والزندقة وبين الزندقة والزرادشتية حيث قال: (أن الفرس حين أتاهم زرادشت ... بكتابهم المعروف بالبستاه باللغة الأولى من الفارسية وعمل له التفسير وهو الزند وعمل لهذا التفسير شرحًا سماه البازند ... وكان الزند بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئًا بخلاف المنزل الذي هو البستاه وعدل إلى التأويل الذي هو الزند قالوا هذا زندي إضافة له) [3] إلا أن المسعودي لم يذكر من هو الذي وضع الزند تفسيرًا لكتاب زرادشت (الأفستا) ولو أن ما ذكره عن ماني وقوله أن الزندقة قد ظهرت في أيامه يوحي بأن ماني هو الذي وضع الزند ، ومما يؤيد ذلك أن عددًا من المؤرخين قد وضحوا العلاقة بين ماني والزندقة وأكدوا أنه أول من وضع الزند تفسيرًا للافستا [4] ، والنسبة إلى الزند زندي وهي صفة للمؤمن بالتفسير

(١) الطبري : ج٢ ص ٨٣٤ طبعة دي غويه .

(٢) مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧ ، طبعة باريس سنة ١٨٦٣م .

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٤) فالمقدسي يقول وفي زمانه ـ أي شابور بن أردشير ـ ظهر ماني الزنديق وذلك أن أول ما ظهر في الأرض من أمر الزندقة (البدء والتاريخ ج٣ ص ١٥٧) . ويقول أبو الفرج الأصفهاني على لسان حماد عجرد في حديثه عن بشار بن برد (إنما يفيضني من بشار تجاهله بالزندقة وهو والله أعلم الزندقة من ماني) (الأغاني ج٣ ص ٦٢) ويؤيد ذلك السمعاني إذ يقول أن زندي هذه النسبة إلى كتاب جمعه ماني سماه الزند من الزندية ... الزنديق نسبة إلى ذلك وأول من سمي بهذا الاسم ماني) (كتاب الأنساب ص ٢٨٠ طبعة ليدن) . ويوضح ابن بدرون علاقة ماني بالزندقة كما ذهب إلى ذلك السمعاني (كمامة الزهر وفريدة الدهر ص ٣٦ ـ ٣٧ طبعة القاهرة) ويؤيد =

دون الأصل وفي ذلك يقول براون: (زنديق صفة فارسية معناها متبع الزند أو الشرح القديم للأفستا ... وأن المانوية سموا بالزناديق لميلهم إلى تأويل وشرح الكتب المقدسة حسب آرائهم)[1] .

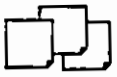

مزدك والزندقة :

لقد ظهر مزدك أيام الملك قباذ وزين للناس ركوب المحارم[2] ودعا إلى (اشتراك الناس في الأموال والحرم)[3] مما سبب غضب الزرادشتية على قباذ فعزلته عن العرش وحبسته[4] وحملت الملك أنو شروان على قتل مزدك ومن كان في ملته[5] .

وعلى الرغم من دعوة مزدك الإباحية وموقف أنو شروان الصارم منه فأن الدينوري لم يطلق عليه صفة الزنديق كما طلقها على ماني ، والمسعودي أول من أطلق على مزدك صفة الزنديق حيث قال: (تم مُلك قباذ بن فيروز وفي أيامه ظهر مزدق الزنديق)[6] دون أن يذكر المسعودي أسباب الحكم

=ما ذهبنا إليه ابن الأثير فيقول: (الزندي : .. هذه النسبة إلى كتاب وضعه ماني المجوسي سماه الزند والنسبة إليه زندي وإليه ينسب الزنديق) (اللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص ٥١١) ويذكر النويري علاقة ماني بالزندقة فيقول: إن ماني (زاد في شرعهم الذي شرعه لهم زرادشت) (نهاية الأرب في فنون الأدب ج١٥ ص ١٦٨ - ١٦٩ ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م . إلا أن النويري لم يشر إلى الآراء والمعتقدات التي زادها ماني على الزرادشتية ويؤكد النويري ان زنديق أطلقت على ماني وسموا أصحابه الزنادقة (المصدر السابق ج١٥ ص١٦٨ - ١٦٩) .

(١) انظر : Browne , vol. I, p . 159 والدوري : العصر العباسي الأول ص ١١٠ .

(٢) الأخبار الطوال ص ٦٥ .

(٣) البيروني . الآثار الباقية ص ٢٠٩ .

(٤) الأخبار الطوال ص٦٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٥ .

(٦) مروج الذهب ج١ ص ١٦٤ .

بالزندقة على مزدك . والخوارزمي أول المؤرخين الذين أوضحوا أسباب تسمية مزدك زنديقًا فقال: (وأظهر كتابًا سماه زند وزعم أن فيه تأويل ألابستا وهو كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت .. فنسب أصحاب مزدك إلى زند فقيل زندي) [١] ، ويذهب التفتازاني [٢] وابن كمال باشا [٣] إلى ما ذهب إليه الخوارزمي في سبب تسمية مزدك زنديقًا .

ونظرًا لتزيين مزدك ركوب المحارم ودعوته إلى إشاعة المرأة فإن العباسي يعتبر الزنديق (معرب زن دين أي دين المرأة) [٤] .

من هذا يتبين لنا أن الملوك الساسانيين قد اضطهدوا المانوية والمزدكية ، وأن المؤرخين القدامى والمحدثين أطلقوا على ماني ومزدك لفظ الزنديق في معرض الذم لأن كلا منهما وضع تفسيرًا لكتاب زرادشت «الافستا» ومن هنا أصبح من اليسير علينا أن نوضح سبب اختلاف المؤرخين في نسبة الزندقة إلى ماني تارة وإلى مزدك تارة أخرى فالواقع أن كلاً منهما استحق الحكم بالزندقة وعليه أصبحت لفظة زنديق تطلق على من وضع تفسيرًا للافستا ، وعلى من أخذ بتفسير ماني ومزدك أو بتفسيريهما وفي ذلك يقول بروكلمان: (أن هذه الكلمة ـ زنديق ـ كانت على عهد الساسانيين صفة ينبني بها كل من يجرأ على تفسير الابستا تفسيرًا غير رشيد) [٥] .

ولم تذكر المصادر شيئًا عن علاقة الزندقة بنبي آخر غير ماني ومزدك على الرغم من أن (كلا من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان له إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل) [٦] ويتناقض مع الأفستا .

---

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٢٥ مطبعة الشرق القاهرة .

(٢) انظر شرح مقاصد الطالبين في حكم أصول الدين ج٢ ص ٢٦٩ ، طبعة أستانبول سنة ١٣٠٥ هـ .

(٣) انظر رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص١ .

(٤) العباسي : معاهد التنصيص ج١ ص ٧١ دار الطباعة المصرية ، القاهرة سنة ١٢٧٤هـ .

(٥) تاريخ الشعوب الإسلامية الترجمة العربية ج٢ ص ١٦ .

(٦) البيروني : الآثار الباقية ص ٢٣ .

ويشير المسعودي في حديثه عن ابن المقفع وانتشار الزندقة فيقول ... مما نقله عبد الله بن المقفع وغيره من الفارسية والفهلوية إلى العربية يبدأ المذاهب المانية والديصانية والمرقونية فكثر بذلك الزنادقة)[1] لم أقف على مؤرخ أطلق على المرقونية أو الديصانية الحكم بالزندقة على الرغم من قول ابن ديصان ومرقيون بآراء تتناقض والزرادشتية وهناك عبارة واحدة لابن حجر العسقلاني يعتبر فيها (أن أصل الزنادقة أتباع ديصان وأني ومزدك)[2] دون أن يوضح ابن حجر العلاقة بين ديصان والزندقة للدور الذي قام به فاستحق أتباعه أن يكونوا من الزنادقة كما هم أتباع ماني ومزدك.

الدهرية والزندقة :

والدهرية تنكر الخالق وتعتقد بالقدم وعدم حدوث العالم ، ولم تشر المصادر إلى وجود هذه العقيدة في الحضارة الإيرانية لأن العقيدة الثنوية هي الصفة المشتركة للديانات الإيرانية كافة والثنوية تؤمن بوجود إلهين أما الدهرية فإنها تنكر الألوهية أساسًا ، وعلى الرغم من ذلك نجد معظم قواميس اللغة العربية تفسر لفظ زنديق على أنه (فارسي معرب كان أصله كرد ، زنده الحياة ، وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر)[3] وذهب ابن سيده إلى هذا التفسير فقال: (الزنديق فارسي معرب كأن أصله عندهم زندكر أي يقولون ببقاء الدهر)[4] ويردد ذات العبارة ابن منظور في لسان العرب[5] . ويبدو أن تغييرات جرت على زنده كرد عند تعريبها فأصبحت زنديقًا والذي يظهر أن اللغويين حينما أدركوا أن لفظ زنديق فارسي بحثوا

(١) مروج الذهب ج٨ ٢٨٢ ـ ٢٩٣ طبعة باريس سنة ١٨٧٤م .
(٢) العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري ج١٢ ص ١١٩ ـ ٢٢٠ .
(٣) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٣ ص ٥٠٤ ط١ حيدر آباد ١٣٤٥ هـ .
(٤) ابن سيده : كتاب المخصص ج١٤ ص ٤٣ ط١ المطبعة الكبرى بولاق سنة ١٣١٩هـ .
(٥) ابن منظور : لسان العرب ج١٢ ص ١٢ الطبعة الأولى بولاق ١٣٠٣هـ .

عن أصله في اللغة الفارسية فقالوا أن أصله (زنده كرد) ولما كانت زنده كرد تعني بقاء الدهر حكموا على أن الدهرية هي الزندقة على الرغم من عدم وجود معتقدات دهرية في المنطقة الإيرانية وليس ثمة علاقة بين الديانات الإيرانية الثنوية والدهرية الملحدة .

٢ـ الزندقة في الحضارة الإسلامية :

الزندقة في أيام الرسول والخلفاء الراشدين :

الزندقة مظهر من مظاهر الشعوبية الدينية أطلق على معان عدة مختلفة تدخل معظمها في إطار الحركة الشعوبية [١] ، وعليه من الضروري الوقوف على الحالات التي أطلق عليها هذا الحكم في الفترة موضوع بحثنا .

لم ترد كلمة زنديق في القرآن الكريم [٢] ، كما لم ترد في أحاديث الرسول ﷺ إلا مرات قليلة فقد أوردها ابن حنبل في مسنده مرتين بمعنى واحد (... قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة مسخ إلا وذلك من المكذبين بالقدر والزنديقية» [٣] وقال ﷺ : « ... أنه سيكون في أمتي مسخ وقذف وهو من الزنديقية والقدرية» [٤] ، ولم يوضح ابن حنبل ما قصده الرسول من أمر هؤلاء الزنديقية ، كما لم يحدثنا عن آرائهم ومعتقداتهم ، ويبدو أن هؤلاء الزنادقة كانوا يمثلون معتقدات قائمة بنفسها حيث ورد اسمهم باعتبارهم ديانة لها مقوماتها الخاصة بها .

ويروي الإمام الغزالي حديثًا آخر للرسول ﷺ ترد فيه كلمة الزنادقة

---

(١) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٢٣ ـ ٢٤ ، القاهرة ١٩٤٥م .

(٢) ابن تيمية : بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦٢ ، ٦٣ ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ١٨٩١م .

(٣) ابن حنبل : المسند ج٢ ص ١٠٨ القاهرة ١٣١٣هـ .

(٤) المصدر السابق ج٢ ص ١٣٦ .

وهو قوله ﷺ : «ستفترق أمتي بضعًا وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا الزنادقة » [1] ولم يوضح الغزالي المقصود بهؤلاء الزنادقة كما لم يذكر آراءهم التي حرمت عليهم الدخول في الجنة ، وقد فسر الغزالي معنى الزندقة وقال الزندقة: (أن تنكر أصل المعاد عقليًا وحسيًا وتنكر الصانع للعالم أصلاً ورأسًا) [2] إلا أن الغزالي لم يشر إلى العلاقة بين الزنادقة التي وردت في حديث الرسول وهذا المعنى للزندقة الذي ذهب إليه ، ومن المحتمل أن هذا المعنى يمثل مفهوم الزندقة المتعارف عليه في أيام الغزالي دون أن تكون له علاقة في معنى الزنادقة التي جاءت في حديث الرسول .

ولم ترد كلمة زنديق في كتب الحديث الأخرى ، كما لم أقف على استعمال لهذه الكلمة في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضوان الله تعالى عليهم) وهذا مما يشكك في صحة الأحاديث التي أوردها ابن حنبل والغزالي ويؤكد استنتاج ابن تيمية حين قال: فلفظ زنديق لا يوجد في كلام النبي ﷺ [3]

ويذكر ابن حنبل لفظ الزنادقة في حديثه عن الإمام علي ﷺ فيقول: «أن عليا ﷺ أتى بقوم من هؤلاء الزنادقة ومعهم كتب فأمر بنار فأججت ثم أحرقهم وكتبهم » [4] ولم يشر ابن حنبل إلى ما في كتب هؤلاء الزنادقة من آراء ، كما لم يوضح المقصود بزندقتهم ، إلا أن ابن حنبل يذكر تعقيب ابن عباس على إجراء الإمام علي حيث قال: « لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ ، لقتلتهم لقول رسول الله ﷺ من بدل دينه فاقتلوه » [5] ومن هذا يتبين لنا أن هؤلاء الزنادقة قد استحقوا هذا الحكم لأنهم بدلوا دينهم الإسلامي بدين آخر ، ومن الجدير ذكره أن إجراء الإمام علي هذا كان في شأن السبئية حين غلت في صفات الإمام علي وغيره من الأئمة

(١) الغزالي : فيصل التفرقة ص١٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٣ .
(٣) بغية المرتاد ص ٦١ ـ ٦٢ .
(٤) ابن حنبل : المسند ج١ ص ٢٨٢ .
(٥) المصدر السابق ج١ ص ٢٨٢ .

وقالت في علي: أنت الإله وادعت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة [1] ، وعلى هذا فإن أراء السبئية الغالية تعتبر تبديلاً في الدين وأن هذا التبديل يعتبر زندقة .

ويورد الطبرسي [2] لفظ الزنادقة في معرض حديثه عن الإمام علي فيقول: (جاء بعض الزنادقة إلى أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ وقال له لولا ما في القرآن من الاختلاف والتناقض لدخلت في دينكم) [3] ولا نستطيع الجزم من نص الطبرسي أن هذا التسمية أطلقت أيام الإمام علي أو أن الطبرسي أطلقها بناء على اجتهاده هو وأراد بها مفهومًا يتناسب والمرحلة التي كان يعيش فيها ، وإذا فرضنا أنها أطلقت في أيام الإمام علي فيكون إطلاق الزندقة على من طعن في القرآن وادعى أن فيه تناقضًا واختلافًا .

ومن هذا يمكن القول أن الزندقة أطلقت أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين على الذين بدلوا دينهم الإسلامي بدين آخر وعلى الذين طعنوا في القرآن الكريم .

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص ٤٣ والملل والنحل ج٢ ص ١١ .

(٢) هو أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي المتوفي في أواخر القرن الخامس الهجري .

(٣) الطبرسي : الاحتجاج على أهل اللجاج ص ١١٩ طهران ١٣٠٢ هـ .

الزندقة في أيام الأمويين :

يعتبر الإمام جعفر الصادق (ع) (٨٠ـ١٤٨ هـ) من أشهر المفكرين العرب الذين دافعوا عن الإسلام وردوا على خصومه ، إلا أنه لم يستعمل لفظة الزندقة في كتابه (توحيد المفضل) الذي رد فيه على المانوية واكتفى بالقول فيها: (كالذي أقدمت عليه المنانية الكفرة وجاهرت به الملحدة المارقة الفجرة) [١] وقال في ماني: (... بل العجب من المخذول ماني حين ادعى علم الأسرار وعمي عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه إلى الخطأ)[٢] فإنه على الرغم من شهرة ماني بالزندقة وادعائه علم الأسرار وطعنه في ذات الله فإن الإمام الصادق اكتفى بوصفه بالمخذول .

ويذكر الكليني أن الصادق استعمل لفظ زنديق بصدد أبي شاكر الديصاني الذي ادعي (أن في القرآن آية هي قولنا ـ هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ـ فقال الصادق هذا كلام زنديق خبيث) [٣] فإذا صح هذا القول عن الإمام الصادق فتكون الزندقة قد أطلقت في مرحلة من مراحل حياته على من أنكر التوحيد وقال بوجود إلهين كما نرى ذلك واضحًا في قول الديصاني.

وألف القاسم بن إبراهيم المتوفي ٢٤٦هـ [٤] وهو من الزيدية (كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع) تناول فيه آراء ابن المقفع وناقشها ورد عليها فقال في ابن المقفع: (ثم خلف من بعد ماني خلف سوء ابن المقفع فورث عن ماني في كفره ميراثه وحاز عن أبيه ماني فيه تراثه) [٥] ، وفند القاسم معتقدات ابن المقفع المانوية فقال: (وزعم ابن المقفع أنه لا يرى في الأشياء كلها إلا مزاجًا مختلطًا كذلك زعم أن النور والظلمة اللذين هما

(١) الصادق : توحيد المفضل ص ٥ ـ ٦ . النجف ١٣٦٩ هـ .
(٢) المصدر السابق ص ٥ ـ ٦ .
(٣) الكليني : أصول الكافي ج٣ ق ٢ ص ١٧٣
(٤) انظر : ماني ودين أو ص ٧٧ .
(٥) القاسم : كتاب الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع ص ٤ ، طبعة روما ١٩٢٧م .

عنده الجهل والحكمة)[1] ومن هذه الأقوال التي رد بها القاسم نستطيع أن نستنتج أن الزندقة التي أشار فيها إلى ابن المقفع كانت تعني المانوية وأن ابن المقفع استحق الحكم بالزنديق لإيمانه بها .

وفي حديث أبي الفرج الأصفهاني عن الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال: (كان فاسقًا خليعًا متهمًا في دينه مرميًا بالزندقة)[2] ووضح الأصفهاني سبب الحكم على الوليد بالزندقة فقال: (كان الوليد زنديقًا، وكان رجل من كلب يقول بمقالته مقالة الثنوية ... فدخلت على الوليد يومًا وذلك الكلبي عنده وإذا بينهما سفط قد رفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حرير أخضر .. فقال: يا علاء هذا ماني لم ينبعث الله نبيًا قبله ولم يبعث نبيًا بعده)[3] وسواء أكانت هذه التهمة بحق الوليد صحيحة أم غير صحيحة أو أنها متأخرة فإن اتهام الوليد بالزندقة كان بسبب إيمانه بالمانوية والقول بنبوة ماني ونكرانه الأنبياء من قبل ماني ومن بعده .

وذكر الأصفهاني (كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون ، حماد عجرد وحماد الزبرقان وحماد الراوية يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة وكأنهم نفس واحدة وكانوا يرمون بالزندقة)[4] ، إلا أن الأصفهاني لم يوضح المراد بالزندقة التي كان الحمادون يرمون بها .

وقد اعتبر ابن النديم المانوية هم الزنادقة وقد أطلق على عدد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية حكم الزندقة فقال تحت عنوان ـ أسماء ذكر رؤساء المنانية ـ[5] (ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ابن طالوت وأبو شاكر ابن أخي شاكر بن

(١) المصدر السابق ص ٥١ .

(٢) الأصفهاني : الأغاني ج٦ ص ٩٩ ، طبعة ساسي وسأعتمد هذه الطبعة .

(٣) المصدر السابق ج٦ ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٤) الأغاني ج١٥ ص ١٥٧ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٦ .

الأعدي الحريزي وابن أبي العوجا وصالح بن عبد القدوس ولهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين ومذاهب أهلها)[1] .

ويؤكد البيروني عند حديثه على بعض من عرف بالزندقة أن المانوية هي الزندقة فيقول: « ثم جاءت طامة أخرى من جهة الزندقة أصحاب ماني كابن المقفع وكعبد الكريم بن أبي العوجاء فشككوا ضعاف الغرائز في الواحد الأول من جهة التعديل وأمالوهم إلى التثنية وزينوا عندهم سيرة ماني »[2] .

وقد اعتبر ابن نباته المصري غيلان الدمشقي زنديقًا فقال فيه (غيلان أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام)[3] ثم قال مخاطبًا إياه: «.... ثم تحولت بعد ذلك قدريًا زنديقًا»[4] وقد ذكر الذهبي أن أبا الحسن المدائني قد حكم على الجعد بن درهم بالزندقة ويوضح الذهبي أسباب الحكم على الجعد بالزندقة فيقول أنه كان يقول : «إن الله لا يتكلم ... وزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليما »[5] ويضيف السيد المرتضي: «إن الجعد جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودًا وهوام ، فقال لأصحابه: أنا خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه »[6] .

ومن هذا يتضح أن الزندقة أطلقت في الفترة الأموية على المانوية ، وعلى القائلين بخلق القرآن ونكران بعض آياته وعلى المدعين الربوبية ، وكل هذه الآراء والمعتقدات مناهضة للإسلام وعملت على محاربته .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٨٧ .

(٢) البيروني : تحقيق ما للهند ص ١٣٢ .

(٣) ابن نباته : سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ص ٢٨٩ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدني القاهرة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠ .

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ج٤ ص ٢٣٩ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٦٤هـ .

(٦) المرتضى : أمالي المرتضى ج١ ص ٢٨٤ .

٣ـ الزندقة في العصر العباسي الأول :

لقد قويت حركة الزندقة في هذا العصر واستفحل خطرها مما حمل المسؤولين على مقاومتها بشدة فاضطر الزنادقة أن يتظاهروا بمظاهر متعددة ويسلكوا أساليب مختلفة من أجل التستر على حركتهم فاتسع إطلاق لفظ الزندقة في هذه الفترة اتساعًا كبيرًا [١] .

لقد أطلقت الزندقة على المانوية في نطاق واسع فالجاحظ في حديثه عن التشابه بين معتقدات المسيحية والزندقة (وأنت إذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم في أكل الحبوب وترك الحيوان وتزهيدهم في النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم للجاثليق والمطران والأسقف والرهبان وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا) [٢] إن هذه الآراء والمعتقدات التي اعتبر الجاحظ أن بينها وبين المسيحية نسبًا هي آراء ومعتقدات المانوية .

وقد أطلق الجاحظ الحكم بالزندقة على عدد من الأشخاص فقال: «وكان حماد عجرد وحماد الراوية وحماد الزبرقان ويونس بن فروة وعلي بن الخليل ويزيد بن الفيض وعبادة وجميل بن محفوظ وقاسم بن زنقطة ومطيع ووالبة ابن الحباب وأبان بن عبد الحميد وعمارة بن حربية يتواصلون وكأنهم نفس واحدة » [٣] ويبدو أن سبب الحكم على هؤلاء بالزندقة كان لإيمانهم بالمانوية ومما يؤكد ذلك ما قاله أبو نواس في واحد منهم وهو إبان ابن عبد الحميد حيث قال فيه :

---

(١) انظر: حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ج٢ ص ١١٥ ط ٧ ومقالة الأستاذ فيدا : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ ـ ٣٢ .

(٢) الجاحظ : المختار من كتاب الرد على النصارى ص ١٦ ، القاهرة ١٩٢٦م .

(٣) الجاحظ في كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٧، ٤٤٨ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة .

جالست يومًا أبانا ... لا در در أبان
فقلت سبحان ربي ... فقال سبحان ماني [1]

وعلى أثر وقوف الخليفة المهدي على مقالة أحد الزنادقة توجه إلى ابنه الهادي يوصيه بضرورة محاربة الزنادقة فقال: (يا بني إن صار لك هذا الأمر المجرد لهذه العصابة - يعني أصحاب ماني - فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور وترك قتل الهوام تحرجًا وتحوبًا ثم تخرجها من عبادة اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة ثم تبيح بعد ذلك نكاح الأخوات البنات والاغتسال بالبول وسرقة الأطفال) [2] فهذه الوصية توضح أن الزندقة في مفهوم المهدي كانت المانوية وفي ذلك يقول الأستاذ فيدا : (إن الزندقة التي حاربها المهدي والهادي في شخص هؤلاء الزنادقة هي المانوية ولا وبالذات) [3] . ويفسر الأستاذ بيفن معنى كلمة زندقة فيقول: (أن الزندقة مأخوذة من كلمة صديق حيث كان يطلق على زهاد المانوية الصديقون » لأن هؤلاء كانوا يفرضون على أنفسهم إيثار المسكنة وقمع الشهوة ورفض الدنيا والزهد فيها ومواصلة الصوم والتصدق وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم ولباس سنة وقد تحولت كلمة صديق رامية إلى «زنديك» في اللغة الفارسية ثم عربت هذه إلى زنديق وعلى هذا أصل الكلمة أطلق على زهاد المانوية) [4] وسواء أكانت الزندقة قد كانت على المانوية أم على زهادها فإن الزندقة في رأي بيفن لا زالت مرتبطة بالمانوية .

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٤٧ - ٤٤٨ تحقيق عبد السلام هارون .
(٢) الطبري : ج١٠ ص ٤٢ الطبعة الحسينية .
(٣) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ - ٣٢ .
(٤) انظر من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣١ و Browne, vol, I. p. 100

وقد تحدث ابن النديم عن عدد من الزنادقة بسبب إيمانهم بالمانوية وهم (ابن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ... وبشار بن برد وإسحاق بن برد وإسحاق بن خلف بن سابه وسلم الخاسر وعلي بن الخليل وعلي بن ثابت .. وأبو عيسى الوراق وأبو العباس الناشيء والجيهاني محمد بن أحمد ... وأن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد البرمكي كانت زنادقة وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقًا)[1] .

وقد أصبحت للمانوية كتب خاصة بها يدل اقتناؤها والإيمان بها على زندقة الشخص فقد أحضر الرشيد بنت مطيع بن إياس - الذي اتهم بالزندقة لما نويته فقالت: (فقرأت كتابهم واعترفت به وقالت هذا دين علمنيه أبي)[2] .

وقد استمر الحكم بالزندقة يطلق على المانوية طوال العصر العباسي الأول حتى أصبح الحكم على الشخص بالزندقة أو عدمها التبرؤ من ماني وشتمه ، فإنه لما اتهم أبو نواس بالزندقة جيء به إلى صاحب الزنادقة فخط له صورة ماني وقال أبصق عليه فأهوى أبو نواس بيده إلى فيه وقاء عليها فخلى سبيله[3] ، وحاكم المأمون عشرة من الزنادقة (بضروب المحن منها إظهار صورة ماني والأمر بالتفل عليها والتبرؤ منها)[4] .

وعلى الرغم من أن الديانة الزرادشتية كانت الديانة الرسمية في الدولة الإيرانية طوال العصر الساساني وعلى الرغم من أنها ديانة ثنوية اصطدمت

---

(١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٢) انظر الأغاني ج ١٢ ص ٨٥ و : Bukhsh, Islamic Civilization (Calcutta) 1929, Vol . I . p . 100 .

(٣) أبو عبد الله الأصفهاني : شرح ديوان أبي نواس ح٣ ص ١٨٥ - ١٨٦ طبعة باريس ١٩٢٥ .

(٤) المسعودي : مروج الذهب ج٧ ص ١٥ طبعة باريس ١٨٧٤م .

بالإسلام الموحد فإنه لم ترد إشارة أو حكم على شخص اتهم بالزندقة بسبب إيمانه بالزرادشتية ، كما لم أقف على زنديق أطلقت عليه الزندقة بسبب إيمانه بالمزدكية على الرغم من أن الخوارزمي ومن جاء بعده كالتفتازاني وابن كمال باشا قرروا (أن المزدكية من الفرق الثنوية ... وهم الزنادقة) [١] .

ويبدو أن المانوية استطاعت أن تضم إلى صفوفها معظم أصحاب الديانات الثنوية الأخرى وأن تستوعب نشاطهم وتوجهه وفقًا لخططها ، ويظهر أن اتباع هذه الديانات وجدوا في المانوية مجالاً للتستر لأن آراءها (تجمع آراء مسيحية وزرادشتية) [٢] ولم تكن المسيحية مضطهدة آنذاك كما أن في طقوس المانوية تشابهًا مع الطقوس الإسلامية لا سيما بخصوص الصلاة والصوم والوضوء بحيث يمكن التظاهر بهذه الشعائر للتستر على الزندقة [٣] كما وجدوا في المانوية تراثًا قوميًا يجب الحرص عليه إرضاء للنعرة القومية وإشباعًا للنزعة الشعوبية [٤] .

وقد أطلق المؤرخون الزندقة على الدهرية ومن الذين اتهموا بالزندقة لقولهم بالدهر أبو نواس الشاعر فقد ذكر أنه وجد هذان البيتان في بيته بعد موته :

بـاح لـساني بمـضمر الـسر وذاك أني أقـول بالـدهر
ولـيس بعـد المـمات حادثـة وإنـما المـوت بيـضة العقـر [٥]

وبهذين البيتين حكم أبو سعيد نشوان على أبي نواس بالزندقة ولم أقف على مصدر آخر يؤيد ما ذهب إليه أبو سعيد نشوان ، فهناك من يقول بزندقة أبي نواس ولكن ليس لإيمانه بالدهرية .

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ص ١ .
(٢) الدوري : العصر العباسي الأول ص ١١١ .
(٣) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤) عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص ٣٤ .
(٥) أبو سعيد نشوان : الحور العين ص ١٩٢ ـ ١٩٣ القاهرة ١٣٦٧ هـ .

وقد انتشر إطلاق الزندقة على الدهرية حتى أصبح لا يختلف عن إطلاقه على الثنوية فالمسعودي يرى (الثنوية هم الزنادقة وألحق بهؤلاء سائر من اعتقد القدم وأبى حدوث العالم) [١] ولا ريب أن الاعتقاد بالقدم وإنكار حدوث العالم هو قول الدهرية . ويذهب أبو العلاء المعري إلى أبعد مما ذهب إليه المسعودي فيقول: (الزنادقة هم الذين يسمون الدهرية لا يقولون بنبوة ولا كتاب) [٢] وابن قيم الجوزية يذهب إلى ما ذهب إليه المعري فيقول :(زنادقة العالم الذين لا يؤمنون بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر) [٣] ، وابن تيمية يجعل الزندقة وقفًا على الدهرية فيقول: (وأما الزندقة المطلقة فهو أن ينكر أصل المعاد عقليًا وحسيًا وينكر الصانع للعالم)[٤] ، ومما يؤكد انتشار إطلاق الزندقة على الدهرية أن معظم معاجم اللغة العربية فسرت لفظ الزنديق على معنى الدهرية، فابن دريد يقول: (زنديق فارسي معرب كأن أصله زنده كرد ، زنده الحياة وكرد العمل أي يقول بدوام الدهر) [٥] ويذهب ابن سيده في المخصص [٦] وابن منظور في لسان العرب [٧] إلى ما ذهب إليه ابن دريد .

وعلى الرغم من انتشار إطلاق الزندقة على الدهرية لم تعين المصادر الفترة التي أطلقت فيها الزندقة عليهم كما لم تذكر أسماء الذين حكم عليهم بالزندقة لإيمانهم بالدهرية ، كما لم تشر إلى نشاطهم ولا إلى مواقف السلطة والشعب منهم على الرغم من هذا الاتساع في إطلاق الزندقة على الدهرية لم أقف على أسمائهم أو أسماء قادتهم ولا على كتبهم وطبيعة عملهم

(١) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ، طبعة باريس.

(٢) المعري : رسالة الغفران ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، القاهرة ١٩٥٠ م .

(٣) ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ج ٢ ص ٢٤٦ القاهرة ١٣٥٧ ـ ١٣٥٨هـ.

(٤) ابن تيمية : كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ص ٦١ ـ ٦٣ .

(٥) ابن دريد : جمهرة اللغة ج٣ ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥ .

(٦) انظر المخصص ج١٤ ص ٤٣ ، الطبعة الأولى بولاق ١٣٢٠ هـ .

(٧) انظر لسان العرب ج١٢ ص ١٢ ، الطبعة الأولى بولاق ١٣٠٢ هـ.

ولم أستطع أن أجد لهذه الظاهرة تفسيرًا .

وقد أطلق الحكم بالزندقة على المجون والمجان ففي مناقشة المهدي مع شريك بن عبد الله القاضي قال المهدي لشريك: «يا زنديق لأقتلنك» ، فضحك شريك ، فقال : «يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها: شربهم القهوات واتخاذهم القينات» [١] ، ففي جواب شريك دليل على أن هناك علامات للزندقة ، ومن تدقيق النظر فيما ذكره شريك نجد أن شرب القهوات [٢] واتخاذ القينات من علامات الزندقة . ويؤيد صحة ما ذهبنا إليه من أن الزندقة كانت تطلق بسبب المجون ما قاله أبو نواس في حماد عجرد: (كنت أتهم حماد عجرد إنما يرمي بالزندقة لمجونه في شعره ، حتى حبست في الزنادقة ، فإذا حماد عجرد إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين به في صلاتهم) [٣] . ويؤيد الأستاذ جب من أن الزندقة أطلقت على المجون ، فيقول: (وتجلت الزندقة بصورة أوضح في الاستهتار والاستخفاف بالمذاهب الخلقية التي تنضوي تحت اسم المجون) [٤] .

قد أطلقت الزندقة على الظرف والظرفاء ومن الذين أطلقت عليهم الزندقة بسبب ذلك محمد بن زياد الحاركي فقد كان يظهر الزندقة تظارفًا، قال فيه ابن مناذر :

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٠ ص ١٥٣ ، مطبعة السعادة سنة ١٣٥٨ هـ .

(٢) المقصود بالقهوات ليست القهوة المعروفة بل كناية عن شراب مسكر قهوة بهذا المعنى في شعر الوليد بن يزيد :

ما لعيش إلا سماع محسنة ... وقهوة تترك الفتى ثملا

رسالة الغفران ص ٣٧٨ .

(٣)الأصفهاني : الأغاني ج١٣ ص ٧١ .

(٤) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٩١ .

ابـــن زيـــاد يـــا أبـــا جعفـــر ... أظهـــرت دينـــا غـــير مـــا تخفـــي
زنـــدق الظـــاهر بـــاللفظ في ... بـــاطن إســـلام فتـــى عـــف
لـــست بزنـــديق ولكـــنما ... أردت أن توســـم بـــالظرف[1]

يحيى بن زياد يرمي بالزندقة وكان من أظرف الناس وأنظفهم فكان يقال أظرف من الزنديق[2] ، وإلى هذا المعنى قال أبو نواس : (تيه مغن وظرف زنديق)[3] .

من هذا العرض يتبين لنا أن الزندقة أطلقت على أشخاص وآراء ومواقف استهدفت محاربة الإسلام ، فقد أطلقت على من بدل دينه الإسلامي بدين آخر وعلى من طعن في القرآن وأنكر بعض آياته وعلى من قال بالقدر وادعى الربوبية كما أطلقت على من أنكر التوحيد وقال بوجود إلهين وأطلقت على المانوية والدهرية وعلى المجون والظرف ، وعلى هذا فالزندقة مظهر أساسي من مظاهر الشعوبية وهي أعلى مراحل التحدي الديني والفكري والاجتماعي للإسلام[4] التي استهدفت هدم الإسلام من الداخل لأن الشعوبية قد أدركت العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام وأدركت أن هدم الإسلام هو السبيل لتحقيق أهدافهم الأخرى[5] لأن ضياع ملكهم كان على يد العرب ولم يكن يتأتى للعرب لولا دينهم الجديد وهو الإسلام فكرهوا العرب وكرهوا الإسلام[6] .

(١) الأغاني ج١٧ ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق ج ١٧ ص ١٥ .
(٣) المرتضى : أمالي المرتضى ج١ ص ١٤٣ ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٤م .
(٤) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٩٢ .
(٥) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص ٤٧ .
(٦) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ١٦٥ ، الطبعة الخامسة وسأعتمد هذه الطبعة .

ثانيًا. الشعوبية العنصرية :

١. الأشخاص والمواقف التي أطلق عليها الحكم بالشعوبية ...

لم ترد كلمة الشعوبية في القرآن الكريم ، كما لم ترد في حديث الرسول ﷺ وقد وردت كلمة شعوب في الآية الكريمة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] ولم تفسر كلمة شعوب بمعنى الشعوبية أو بأنها تعني شعبًا بينا في أيام الرسول أو في أيام الراشدين أو الأمويين ، وذلك لأن لفظ الشعوبية (لم يستعمل إلا في العصر العباسي الأول وأقدم ما وصل إلينا من الكتب التي استعملت لفظ الشعوبية كتاب البيان والتبيين للجاحظ)[١] .

في العصر العباسي استغلت الشعوبية هذه الآية وكلمة شعوب منها وفي ذلك يقول الكردي : « الشعوبية لتعلقهم بقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ »[٢] وادعت الشعوبية أن لفظ الشعوبية مشتق من الشعوب مفرد شعب وهو أوسع من القبيلة واعتبرت القبائل للعرب والشعوب للعجم[٣] .

وعلى الرغم من قيام مؤامرات استهدفت الكيان العربي وظهور عدد من الشعراء والكتاب بنشاط معاد للعرب أيام الراشدين والأمويين فإن معاصريهم يطلقوا عليهم الحكم بالشعوبية ، فقد أنشد إسماعيل بن يسار قصيدة في هشام بن عبد الملك افتخر فيها بقومه الفرس وذم العرب فغضب هشام فقال له: (أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج

---

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ٥٧ ـ ٥٩ .

(٢) الكردي : حاشية على كتاب مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة لأبي الإمام الموفق ابن أحمد ج١ ص ٦٤ ـ ٦٥ الطبعة الأولى القاهرة ، ١٣٢ هـ .

(٣) انظر : رسائل البلغاء كتاب العرب ص ٣٤٤ ـ ٣٤٦ وابن منظور : لسان العرب ج ١ ص ٤٨٢ والألوسي بلوغ الإرب ج١ ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

قومك) [1] يسم هشام إسماعيل بن يسار شعوبيًا كما لم يسمه غيره بذلك مما يدل على أن استعمال لفظ الشعوبية لم يبدأ بعد ، إلا أن عدم استعماله في هذه الفترة لا يعني عدم وجود مواقف وآراء وأشخاص تدخل في نطاق الشعوبية .

وفي العصر العباسي استعمل الجاحظ لفظ الشعوبية ، وأطلقها على آراء ومواقف متعددة فقال مرة: (ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن على باسم التسوية) [2] وذلك حينما رفع بعض الشعوبيين شعار المساواة بين العرب وغيرهم ، وقد أطلق الجاحظ هذا الحكم على مواقف معادية للرسول والصحابة فقال: (والشعوبية ... المبغضون لآل النبي وأصحابه ممن فتح الفتوح وقتل المجوس وجاء بالإسلام) [3] وكذلك استعمل هذا اللفظ باعتبار الشعوبية حركة معادية للعرب ودينهم فقال: (واعلم أنك لم تر قومًا أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدي على دينه ولا أشد استهلاكًا لعرضه ولا أطول نصبًا ولا أقل غنمًا من أهل هذه النحلة) [4] .

وعلى الرغم من اهتمام الجاحظ بالشعوبية وتأليفه عددًا من الكتب في الرد عليها ومعاصرته فريقًا من مشاهير الشعوبيين فإنه لم يطلق على أي منهم لفظ الشعوبية ، فهو في حديثه عن أبي عبيدة معمر بن المثني مع ما عُرف من معاداة للعرب اكتفي بالقول فيه: (... وهذا التأويل أخرجه من أبي عبيدة سوء الرأي في القوم) [5] ويبدو أن الجاحظ قد ركز اهتمامه على الشعوبية كحركة معادية للعرب والإسلام ورد عليها دون الاهتمام بأشخاصها .

(١) الأصفهاني : الأغاني ج٤ ص ١٢٤ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ج٣ ص ٤ ـ ٥ تحقيق السندوبي ، مطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٣٢ م .
(٣) الجاحظ : البخلاء ص ٢٢٨ تحقيق طه الحاجري مطبعة دار المعارف القاهرة ١٩٥٨م .
(٤) البيان والتبيين ج٣ ص ٢٢ .
(٥) المصدر السابق ج١ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

وقد أطلق أبو الفرج الأصفهاني الحكم بالشعوبية على الشاعر إسماعيل ابن يسار مولى تيم بن مرة [1] فقال فيه: (كان شعوبيًا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم) [2]، وأضاف قائلاً: (كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم) [3]، ومن أشعاره التي أشاد بها بقومه الفرس وذم العرب قوله:

إنما سمي الفوارس بالفر ... س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا إمام علينا ... واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي إن جهلت عنا وعنكم ... كيف كنا في سالف الأحقاب
إذ نسربي بناتنا وتدسو ... ن سفاها بناتكم في التراب [4]

وقد أنشد إسماعيل بن يسار في حضرة الخليفة هشام بن عبد الملك مفتخرًا بقومه على حساب العرب فقال:

إني وجدك ما عودي بذي خور ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به ... ولي لسان كحد السيف مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب ... من كل قرم بتاج الملك معموم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا ... والهرمزان لفخر أو لتعظيم
هناك إن تسألي تنبي بأن لنا ... جرثومة قهرت عز الجراثيم [5]

قال ياقوت الحموي في أبي عبيدة معمر بن المثنى مولى بني تيم قريش [6]: كان عالمًا بالشعر والغريب والنسب .. قيل عنه كان شعوبيًا) [7] إلا أن

(١) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم.
(٢) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤.
(٣) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤.
(٤) المصدر السابق ج٤ ص ١١٩.
(٥) المصدر السابق ج٤ ص ١٢٤.
(٦) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ج٧ ص ١٦٤، الطبعة الأولى صحيح د. س. مرجليوث القاهرة ١٩٢٥م.
(٧) المصدر السابق ج٧ ص ١٦٥.

ياقوت لم يذكر من الذي وصف أبا عبيدة بأنه كان شعوبيًا كما لم يذكر أسباب الحكم عليه بالشعوبية ، وقال ابن خلكان في أبي عبيدة: (وكان يكره العرب وألف في مثاليها كتبًا) [1] ، إلا أن ابن خلكان لم يطلق على أبي عبيدة صفة شعوبي.

ولقد ألف أبو عبيدة في ذم العرب ولم ينج من ذمه حتى النبي فقد وضع كتابًا للمثالب يطعن فيه على بعض أسباب النبي ﷺ [2] ، ومن كتبه في مثالب العرب وذمهم (كتاب مرج راهط وكتاب للأفرات وكتاب العققة وكتاب أدعياء العرب وكتاب لصوص العرب وكتاب فضائل الفرس وكتاب النقائض بين جرير والفرزدق) [3] ومن أسماء هذه الكتب يتبين لنا أن أبا عبيدة كان معاديًا للعرب وأنه كان يعمل على الحط منهم ويفخر بالفرس وكان أبو عبيدة يضع الشروح التي تنطوي على ذم العرب ويختلق القصص اختلاقًا للطعن فيهم ومن شروحه المقذعة التي وضعها تفسيرًا لبعض أبيات كتابه النقائض بين جرير والفرزدق قوله: (ورأوا أم درداء السليطية عريانة تعدو فألقي قعنب بن عصمة عصابة كانت فوق بيضته عليها [4] ، ومنها قوله: (أن عمرو بن المنذر أخذ امرأة زرارة وهي حبلى فبقر بطنها وانصرف وأنه أخذ الحمراء بنت ضمرة النهشلي فقذف بها في النار) [5] وقال في تشويه موقف العربي من جاره: (أن طوائف من بني تيم اللات بن ثعلبة نزلت في جوار رجلين من بني ثعلبة بن سعد بن ضبة يقال لهما كدام والمساور فأكل هذان من نزل عليهما منهم وجعلا يتعبثان

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٢٣ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الأولى مطبعة السعادة القاهرة ١٩٤٨م.

(٢) ابن النديم : الفهرست ص ٨٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٦ .

(٤) أبو عبيدة : النقائض تحقيق بيفان ص ٥٨٣ طبعة ليدن ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ م .

(٥) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦ الطبعة الأولى بغداد ١٩٥٤م وسأعتمد هذه الطبعة .

بنسائهم) [1] ويعلق الدكتور محمود غناوي الزهيري على هذه القصص والشروح بقوله: (فكيف يتفق وطبيعة الأشياء أن تتعرى امرأة من ثيابها في الصحراء دونما سبب وكيف يعقل أن يجاهر عربي بالغدر في جيرانه والعبث بنسائهم .. بل كيف يعقل أن تقتل المرأة السبي وتحرق مع أن طبيعة التقاليد العربية في الحروب لا تجيز ذلك ، فلا شك عندي من أن هذا التصوير يراد به الطعن في العرب وتشويه سمعتهم وتاريخهم .. فأبو عبيدة كان يبغض العرب ويؤلف كتباً في مثالبها) [2] ، وفي أبي عبيدة يقول الأستاذ أحمد أمين: (وليس للعرب حرمة في نفسه ... بل في نفسه الكراهية لهم فهو يطلق لسانه في هجوهم وذكر مثالبهم ، وأبو عبيدة يمثل فكرة الشعوبية والبحث عن مثالب العرب والتشهير بهم) [3] ويعتبر نيكلسون أبا عبيدة من الذين وقفوا إلى جانب الشعوبية [4] .

ويذهب الأستاذ جب في تبرئة أبي عبيدة من الشعوبية بحجة ما كتبه في الأدب واللغة فيقول: (فقد كانت خدماته نحو الآداب العربية أكبر من أن تحصى فمنه جاءت تقريبًا نصف المعلومات التي نقلها الرواة المتأخرون عن العصر الجاهلي ... وإن اعتبار أبي عبيدة بعد كل ما ذكرنا شعوبيًا يجب دروس يكون تناقضًا في التعبير) [5] إلا أن الأستاذ جب يعترف بأن الشعوبية قد اشتغلت كتابات أبي عبيدة في معركتها مع العروبة فيقول وتستطيع أن تتصور السرور الذي استلم به أعداء العرب من شعوبية القرن الثالث الهجري ما في كتبه من مواد تخدم وتوضح هجاءهم للعرب) [6]

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٢) الزهيري : نقائض جرير والفرزدق ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(4 Nicholson, R.A. J A Literary History of the Arabs, p . 280

(٤) جب : دراسات في حضارة الإسلام الترجمة ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٩٠ .

وقد استغل تقريب[1] الرشيد والمأمون له واحتضان البرامكة إياه فأخذ يؤلف[2] ويذم العرب (فعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها) [3] وألف كتابًا آخر في مثالب قريش ومنازعاتها ومثالب تيم بن مرة ومثالب بني أسد ومعظم القبائل العربية ذكرها في معرض الذم[4] .

وكان علان شاعرًا نشد في هجاء محمد بن يزيد الأموي وافتخر بطاهر ابن الحسين لقتله محمد الأمين في قصيدة ننقل منها هذه الأبيات :

أيها اللاطي بحفرته ... من قرار الأرض مجعول
وأبو العباس غادية ... لعزاليه أهاليل
تمطر العقيان راحته ... وله بالجود تهطيل
رستمي من ذري شرف ... زانه تاج وإكليل
كسرويات أبوتنا ... غرر زهر مناديل[5]

فلم يقف علان عند هجاء محمد بن يزيد والتفاخر بطاهر بن الحسين بل ذهب إلى الافتخار بالفرس وملوكهم وقادتهم .

وفي حديث ابن النديم عن سهل بن هارون قال: « سهل بن هارون ... فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل» [6] ولم نقف على كتب سهل ولا على رسائله في البخل التي كتبها متعرضًا بصفة الكرم التي يعتز بها العرب ، ويبدو أن هذه

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٣) ابن النديم : الفرست ص ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٠ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٥ ص ٦٨ تصحيح مرجليوث .

(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ .

الكتب قد فقدت في حومة المعركة بين العروبة والشعوبية ، وقال ابن شاكر الكتبي فيه: (سهل بن هارون فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب) [1] ، وأكد ياقوت الحموي شعوبية سهل فقال: (كان أديبًا شاعرًا حكيمًا شعوبيًا يتعصب للعجم على العرب شديدًا في ذلك) [2] ولم نقف على أشعاره ولعلها هي الأخرى فقدت كما فقدت كتبه.

هذه معظم الأسماء التي أطلق عليها المؤرخون التدامى الحكم بالشعوبية في الفترة موضوعة بحثنا ، وهي قليلة جدًا بالقياس إلى سعة وقوة الحركة الشعوبية ، ومما يسترعي الانتباه أن هناك عددًا من الكتاب والشعراء قد خلفوا في ذم العرب مؤلفات وقصائد إلى جانب مدحهم شعوبًا أخرى دون أن يطلق عليهم الحكم بالشعوبية ، وهناك مواقف لبعض أشراف الفرس استهدفت القضاء على الكيان العربي وإعادة الملك إلى الفرس ولم يرمهم المؤرخون بالشعوبية ، كما أن هناك مواقف للعامة من الموالي الذين اشتركوا في معظم الحركات التي قامت لإزالة السلطان العربي دون أن تسمى مشاركتهم هذه ومواقفهم العدائية مواقف شعوبية ، وعليه فإنه من الضروري أن تتتبع مواقف أولئك الأشراف والعامة لوضعهم في النطاق المناسب لمواقفهم من مفهوم الشعوبية العنصرية .

٢ . الأشخاص من الشعراء والكتاب والمواقف التي لها دلائل شعوبية ولم يطلق عليها هذا الحكم:

تواجهنا ونحن نتابع الحركة الشعوبية طائفة من الأشخاص ومجموعة من الآراء والمواقف التي تدل على معاداة العرب والإشادة بغيرهم دون أن يطلق عليهم أو على مواقفهم الحكم بالشعوبية، ومن هؤلاء (الهيثم بن عدي) وهو عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن زيد بن سعيد بن جابر بن عدي

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج١ ص ٣٦٨ ، تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥١ م .

(٢)ياقوت الحموي : معجم الأدباء ج٤ ص ٢٥٨ تصحيح مرجليوث .

ويرجع أصله إلى منبج [1] ، وقد ألف عددًا من الكتب في ذم العرب والفخر بالفرس منها (كتاب المثالب ، كتاب تاريخ العجم وبني أمية ، كتاب المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وكتاب بغايا قريش وكتاب أخبار الفرس) [2] ونظرة إلى أسماء هذه الكتب ترينا أنها كانت في ذم العرب وفي التفاخر بالفرس على أننا لم نقف على هذه الكتب ولا يبعد أن تكون قد نفدت . وقد روي المسعودي قصة طويلة نقلها عن الهيثم بن عدي خلاصتها : أن رجلاً من تنوخ نزل في بني عامر فخرجت إليه جارية فقالت: ممن أنت ؟ قال: أنا من تميم فذكرت أبياتًا في ذم تميم ، فقال لها: لست من تميم بل من قبيلة ففعلت ذلك وما زال الرجل يذكر القبائل قبيلة قبيلة والجارية تروي الأبيات في ذمها حتى استنفد القبائل ولما انتسب إلى بني هاشم قالت أتعرف الذي يقول :

بني هاشم عودوا إلى نخلاتكم فقد صار هذا التمر صاعا بدرهم
فإن قلتموا رهط النبي محمد فإن النصارى رهط عيسى ابن مريم [3]

ويعلق الأستاذ أحمد أمين على هذه القصة بقوله: «وهذه الحكاية كلها إما أن تكون من وضع الشعوبية أو من وضع الهيثم بن عدي نفسه يرمي من وضعها إلى ذكر مثالب القبائل العربية » [4] .

وبشار بن برد العقيلي بالولاء وأصله من طخارستان [5] اتهم بالزندقة وقتل بسببها وقد اختلف في معتقده الديني فقيل عنه أنه كان (متحيرًا مخلطًا) [6] وإذا كان زندقة بشار موضع نقاش ومجال اختلاف فإن أشعاره

(١) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٦١ تصحيح مرجليوث .
(٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٨ ، المطبعة البهية القاهرة ١٣٤٦هـ .
(٤) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ١ ص ٧٢ ـ ٧٣ .
(٥) انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٢٤٥ تحقيق محيي الدين عبد الحميد وابن النديم الفهرست ص ٤٨٧ والأغاني ج٣ ص ٢٠ .
(٦) الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ٢٤ .

المعادية للعرب صريحة وكثيرة في ذمهم ومدح الفرس وعلى الرغم من ذلك لم يذكره مؤرخ قديم في قائمة الشعوبيين وقد اكتفى أبو الفرج الأصفهاني في القول فيه (كان بشار كثير التلون في ولائه شديد الشغب والتعصب للعجم) [1] ولم يسمه شعوبيًا مع العلم أنه سمي إسماعيل بن يسار بذلك على الرغم من أن قصائد بشار في ذم العرب أقذع وأكثر من قصائد إسماعيل ، ومن هذه القصائد المعادية للعرب والتي أشاد بها بالفرس قوله :

هل من رسول مخبر ... عني جميع العرب
من كان حيًا منهمو ... ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حسب ... عال على ذي حسب
جدي الذي أسمو به ... كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي إذا ... عددت يومًا نسبي
إنا ملوك لم نزل ... من سالفات الحقب
حتى استلمنا ملكها ... بملكنا المستلب
حتى رددنا الملك في ... أهل النبي العربي
من الذي عاد الهدى ... والدين لم يستلب [2]

وقال بشار مفتخرًا بأصله الفارسي ولم ينس أن يشتم العرب :

أنا ابن الأكرمين أبا وأما ... تنازعني المرازب من طخار
تفاخر يا ابن راعية وراعي ... بني الأحرار حسبك من خسار [3]

وقال يتبرأ من الولاء للعرب وفي ذمهم :

مولاك أكرم من تميم كلها ... أهل الفعال ومن قريش المشعر

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢ .

(٢) ديوان بشار بن برد : شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٢٩ .

فـارجع إلى مـولاك غـير مـدافع سبحان مولاك الأجل الأكبر[1]

وقال يتوعد أبو جعفر المنصور لقتله أبا مسلم الخراساني ولم يغفل بشار الإشادة بالفرس وذم العرب فقال :

جعفـر مـا طـول عـيش بـدائم ولا سـالم عـما قليـل بـسالم
كأنـك لم تـسمع بقتـل متـوج عظيم ولم تسمع بفتك الأعاجم
مروان قد دارت على رأسه الرحى وكـأن لـما أجرمـت نـزر الجـرائم
أصبحت تجري سادرًا في طريقهم ولا تنقضي أشباه تلك النقائم[2]

وإبان بن عبد الحميد (ابن لاحق بن عفر مولى بني الرقاش)[3] لم يحكم عليه بالشعوبية على الرغم من مواقفه المعادية للعرب وإشادته بالفرس أنشد في هجاء العرب :

أحاجيكمو ما قوس لحم سهامها مـن الـريح لم توصـل بقـد ولا عقـب
فـإن فخـرت يومًـا تميم بحاجب وبالقوس مضمونًا لكسرى لدى العرب[4]

وقد أسهم أبان في إحياء معالم الحضارة الإيرانية فترجم عدة كتب من الفارسية إلى العربية منها (كليلة ودمنة وجعله شعرًا ليسهل حفظه)[5] وترجم (كتاب سيرة أردشير وكتاب أنو شروان وكتاب بلوهر وبردانية وكتاب الزهر وبرداسف وكتاب السندباد وكتاب مزدك وكتاب الصيام والاعتكاف)[6] وكان إبان يريد من هذه الترجمة على ما يظهر من أسماء الكتب التي ترجمها إيقاظ الروح القديمة عند الفرس وبعث الثقة والتحدي فيهم وتأكيد الفرضية الشعوبية القائلة بأن للفرس حضارة راقية .

(١) الأصفهاني : الأغاني ج ٣ ص ٢٢ .
(٢) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٩١ .
(٣) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٤) الأصفهاني : الأغاني ج ٢ ص ٧٣ .
(٥) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٧٣ .
(٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٨ وص ٢٣٨ .

وممن ألف في الدفاع عن الفرس وذم العرب (سعيد بن حميد) ويكنى (أبا عثمان ... وكان يدعي أنه من أولاد ملوك الفرس) [1] وقد وضع عددًا من الكتب منها (كتاب انتصاف العجم من العرب) [2] وقد اعتبره ابن النديم من كتب التسوية دون أن يذكر شيئًا من محتوياته .

وسعيد بن حميد البختكان يرجع أصله إلى فارس كان (شديد العصبية على العرب وله من الكتب كتاب فضل العجم على العرب) [3] وعلى الرغم من شدة عصبيته على العرب وتأليفه الكتب في ذمهم وتفضيل العجم عليهم لم يطلق عليه ابن النديم الحكم بالشعوبية كما أطلقه على سهل ابن هارون وعلان الوراق مع أن نشاط سعيد البختكان ومواقفه لا تقل عداء عن مواقف سهل وعلان في نصرة الحركة الشعوبية .

وإسحاق بن سليمة الذي ينتمي إلى أصل فارسي [4] فقد ألف كتبًا يفخر فيها بالفرس على حساب العرب أشهرها (كتاب فضل العجم على العرب) [5] ، ولم يشر ابن النديم بشيء عن محتوياته ، كما أننا لم نقف عليه ولعله قد لا يكون إلا أن اسم الكتاب يبين لنا أنه من تلك الكتب التي تشيد بمفاخر العجم وتحط من مكانة العرب وهو لهذا يدخل في نطاق الشعوبية العبرية .

أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي كان شاعرًا ماجنًا اتهم أكثر من مرة، ولم يحكم عليه بالشعوبية قديمًا إلا مرة أو مرتين ، فقد قال ابن رشيق: «كان أبو نواس شعوبي اللسان » [6] على الرغم من أن قصائده في ذم العرب والتعرض بحضارتهم والفخر بالفرس والإشادة بآثارهم أكثر من أن تحصى ومنها قوله :

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٥ .
(٤) ابن النديم : ص ١٩١ .
(٥) المصدر السابق ص ١٩١ .
(٦) ابن رشيق : العمدة في محاسن الشرع وأدابه ونقده ج ١ ص ٢٠٤ سنة ١٩٣٤ م .

الـــشقي عـــلى رســـم يـــسائله ... وعجـت أسـأل عـن خمـارة البلـد
عـلى طلـل الماضـين مـن أسـد ... لا در درك قـل لي مـن بنـو أسـد
تمـيم ومـــن قـــيس ولفهمـــو ... لـيس الأعاريـب عنـد الله مـن أحـد
دمـع الـذي يبكـي عـلى حجـر ... ولا صفا قلب من يصفو إلى وتد[1]

ومن شعره الذي يذم به العرب ويفخر بالفرس :

الفـرس الأحـرار أنفـس أنفـس ... وفخـارهم في عـشرة معـدوم
أعـــاشر عـــصبة عربيـــة ... بـدرت إلى ذكـر الفخـار تمـيم
والأعـاجم لا أحـاذر منهمـو ... شرا فمنطـق شرهـم محـسوم
أخـون عـلى النـديم إذا انتـشوا ... ولهـم إذا العـرب اعتدت تـسليم[2]

وأنشد أبو نواس مهاجمًا بعض ما يعتز به العربي من الإبل والأطلال فقال :

سـقيا لغـير الخيـام والطنـب ... ومـن عيرانـة مـن الإبـل
عجبـت مـن نعتهـا ونـاعتهـا ... وأي نعـت يكـون في الجمـل[3]

وقال مستخفًا بالأطلال وبالعرب :

صـفة الطلـول بلاغـة الفـدم[4] ... فاجعـل صـفاتك لابنـة الكـرم[5]

ومن شعره على مذهب الشعوبية قوله :

وجاورت قومًا ليس بيني وبينهم ... أواصر إلا دعـوة وظنـون
لأزد عـمان بالمهلـب نـزوة ... إذا افتخـر الأقـوام ثـم تلـين

(١) ديوان أبي نواس ص ٤٦ تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي القاهرة .
(٢) الدجيلي : الشعوبية ص ٧٣ الطبعة الثانية النجف ١٩٦٠ م .
(٣) ديوان أبي نواس ص ٢٩٥ طبعة الحلبي .
(٤) العيي عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم . انظر : لسان العرب ج ١٢ ص ٤٥٠ .
(٥) ديوان أبي نواس ص ٥٧ طبعة الحلبي .

ويكـر يـرى أن النبـوة أنزلـت على مسمع من البطن وهو جنين
وقالـت تميم لا نـرى أن واحـدًا كاحنفنا حتى المهات يكـون [1]

وقال مفتخرًا بآثار الفرس :

تراث أبي ساسان كسرى ولم تكن مواريث ما أبقت تميم ولا بكر [2]

وحينما أنشد أبو نواس يمدح الخصيب والي مصر لم ينس أن يفخر بالأعاجم فقال :

لـه سـلف في الأعجمـين كأنـه إذا استؤذنوا يوم السلام بدور [3]

ومن شعره في ذم العرب والفخر بالفرس قوله :

دع الأطـلال تـسفيها الجنـوب وتبكـي عهـد جـدتها الخطـوب
ذر الألبـان يـشربها أنـاس رقيـق العـيش عنـدهمو غريـب
بـأرض نبتهـا عـسر وطلـح وأكثـر صـيدها ضـبع وذيـب
فهـذا العـيش لا خـيم البـوادي وهـذا العـيش لا اللـبن الحليـب
فـأين البـدو مـن إيـوان كـسرى وأيـن مـن الميـادين الـزروب [4]

وقال في ذم العرب والفخر بالفرس :

عـدة لم تـصل عطـل بهـا طنبـا ولا خبـاء ولا عـبس وذبيـان
..... لـذهل ولا شيبانها وطنا لكنهـا لبنـي الأحـرار أوطـان
..... بيني بهـا كـسرى دساكره فما بها من بني الرعناء إنسان [5]

وقال متفاخرًا بمعالم الفرس الحضارية على حساب العرب :

دع الرسـم الـذي دثـرا يعـاني الـريح والمطـرا

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨ . الطبعة الثانية تحقيق أحمد أمين وجماعته .
(٢) ديوان أبي نواس ص ١٠٢ طبعة الحلبي .
(٣) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٤) المصدر السابق ص ١١ .
(٥) ديوان أبي نواس : ص ١٢٦ ، ١٢٧ طبعة الحلبي .

ألم تـــر مـــا بنـــي كـــسرى وســـابور لمـــن غـــبرا
منـــازه بـــين دجلـــة والـــ ـــفرات تفيـــأت شـــجرا
بـــأرض باعـــد الرحمـــ ـــن فيهـــا الطلـــح والعـــسرا
ولم يجعـــل مـــصايدها يرابيعهـــا ولا وصرا [1]

وقال أبو نواس يهجو الرقاشي لانتسابه إلى العرب :

قلـــت يومًـــا للرقـــاشي وقـــد ســـب المـــوالي
مـــا الـــذي نحـــاك عـــن أصـــ ـــلك مـــن غـــم وقـــال
قـــال لي قـــد كنـــت مـــولى زمنًـــا ثـــم بـــدالي [2]

فمن أشعار أبي نواس هذه التي كانت تنطوي على ذم العرب ومدح الفرس مما يحملنا على الاعتقاد بأن حملته لم تكن على البداوة كما يرى البعض إذ لو كانت كذلك لما احتاج إلى الفخر بحضارة الفرس ففي حضارة العرب معالم حضارية متقدمة لم تكن تخفى على أبي نواس وهو عائش فيها فيذكرها عند حملته على البداوة ، وعلى هذا فإن أبا نواس كان يتعصب للفرس ويمدحهم بمقدار ما يبغض العرب ويذمهم وينتقص حضارتهم ويسلبهم كل الفضائل التي امتازوا بها على الشعوب [3] ولهذا فإن أبا نواس بالإضافة إلى ما اتهم بالزندقة فإنه يدخل في نطاق الشعوبية العنصرية .

ومن الشعراء الذين أنشدوا في ذم العرب والتفاخر بالفرس الخريمي وهو (أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن فوهي) [4] فارسي الأصل ولد في بلاد الصغد ومنها رحل إلى بغداد واختار صحبة الزنادقة المجان أمثال مطيع بن إياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية وحماد عجرد [5] وقد وضع

(١) المصدر السابق ص ١٦٤ المطبعة العمومية ١٨٩٨ م .
(٢) المصدر السابق ص ٥٧١ .
(٣) ديوان أبي نواس المقدمة تحقيق الغزالي .
(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ٦ ص ٣٢٦ مطبعة السعادة القاهرة ١٩٣١ م .
(٥) انظر المصدر السابق ج٦ ص ٣٢٦ . وابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٣٤ بيروت ١٩٦٤ م .

القصائد في مدح البرامكة ومن خلال ذلك تفاخر بالفرس على حساب العرب ومن أشعاره في هذا المجال قوله :

إني امرؤ من سراة الصغد البسني ... عرق الأعاجم جلدا طيب الخير[1]

ومنها :

وناديت من مرو وبلخ فوارسا ... لهم حسب في الأكرمين حسيب
فيا حسرتا لا دار قومي قريبة ... فيكثر منهم ناصري ويطيب
وإن أبي ساسان كسرى بن هرمز ... وخاقان لي لو تعلمين نسيب
ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم ... لنا تابع طوع القياد جنيب
نسومكموا خسفًا ونقضي عليكمو ... بما شاء منا مخطئ ومصيب[2]

ومن قصائد الخريمي في ذم العرب قوله :

أبا الصغد بأس اذ تعيرني جمل[3] ... سفاها ومن أخلاق جارتنا الجهل
هم فاعلموا أصل الذي فيه منبتي ... على كل فرع في التراب له أصل
إذا أنت لم تحم القديم بحادث ... من المجد لم ينفعك ما كان من قبل[4]

ومن أشعار الخريمي هذه يتبين لنا بأنه كان يفخر بالفرس ويذم العرب وهذان ركنان أساسيان في إدخال الشخص في نطاق العنصرية .

وأنشد عبد الله بن طاهر بن الحسين قصيدة افتخر بها بالفرس وذم العرب فقال :

اقصري عما طمحت له ... ففراغي عنك مشغول
سائلي عمن تسألني ... قد يرد الخبر مسؤول

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣١ .
(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٧٣٤ .
(٣) جمل أراد بها العرب لأنها كانت تعتز بالإبل فاعتبر الجمل كناية عن العرب .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٣٥ .

أنـــا مـــن تعـــرف نـــسبته ... ســـلفي الغـــر البهاليـــل
سـل بهـم تنبيـك نجـدتهم ... مـــشرفيات معاقيـــل
وأبي مـــن لا كفـــأ لـــه ... مـــن يـــسامي مجـــده ؟ قولـــوا
سـل بهـم والخيـل سـاهمة ... حولـــه جـــرد أبابيـــل
أبطـــن المخلـــوع كلكلـــه ... وحواليـــه المقاويـــل
فثـــوى والـــترب مـــضجعه ... غـــال عنـــه ملكـــه غـــول
قـــاد جيـــشًا نحـــو بابلـــه ... ضـاق عنـه العـرض والطـول
مـن خراسـان مـضى معهـم ... كليـوث ضـمها غيـل [1]

ففي هذه القصيدة نرى عبد الله يمدح أباه طاهرًا ويعرض بالخليفة محمد الأمين ويشيد بالفرس ويفخر بهم على حساب العرب مما يدخله في عداد الشعوبيين .

وكتب الجيهاني [2] وهو (محمد بن أحمد أحد رؤساء المتكلمين) [3] في مثالب العرب ونقل عنه أبو حيان التوحيدي أنه « ألف كتابًا سب فيه العرب وتناول جوانب من حياتهم بالذم والشتم» [4] ومن أقواله في ذم العرب: (... يأكلون اليرابيع والضباب والجرذان والحيات ويتعاورون ويتهاجون ويتفاحشون وكأنهم قد سلخوا من فضائل البشر ولبسوا أهب الخنازير) [5] ولم يقف الجيهاني عند هذا الذم المقذع بل ذهب يفاخر بالطبيعة ويعتبر ذلك من علامات تفوق الفرس على العرب فقال: (مما يدل على شرفنا وتقدمنا وعزنا وعلو مكاننا أن الله أفاض علينا النعم ووسع

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج ٢ ص ١٩٨ . تحقيق أحمد أمين وجماعته القاهرة ١٩٤٠ م .
(٢) نسبة إلى جيهان وهي إحدى مدن خراسان انظر حاشية الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٨ .
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٨٧ .
(٤) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٧٩ . تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين الطبعة الثانية .
(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٧٩ .

لدينا القسم وبوأنا الجنان ... ولم يفعل هذا بالعرب بل أشقاهم وعذبهم وضيق عليهم وحرمهم وجمعهم في جزيرة حرجة بقعة صغيرة وسقاهم بارنق [1] مضاح وبهذا يعلم أن المخصوص بالنعمة والمقصود بالكرامة فوق المقصود بالإهانة) [2] فأراء الجياني هذه المعادية للعرب والتي افتخر بها بالفرس تدخله في نطاق الشعوبية العنصرية .

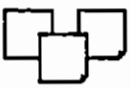

أشراف الفرس ومواقفهم الشعوبية :

تلك مواقف الشعراء والكتاب وقفنا عليها من مؤلفاتهم وأقوالهم وأشعارهم أما أشراف الفرس فلم يخلفوا لنا كتبًا أو أشعارًا بل كانت لهم مواقف تناولناها بالبحث فإذا هي مواقف عدائية موجهة لمقاومة الدولة العربية وإزالتها وكانت مواقفهم تلك تتناسب والظروف المحيطة بهم ، ومن هؤلاء الأشراف الذين وقفوا مواقف معادية للعرب: الهرمزان الذي كان يقود جيشًا فارسيًا لمقاومة الجيش العربي الذي كان يقوده أبو موسى الأشعري فاندحر جيش الهرمزان وطلب الأمان فأعطاه أبو موسى الأمان فحمله (إلى عمر فاستحياه وفرض له) [3] فأخذ الهرمزان يعمل سرًا مع أبي لؤلؤة لضرب الدولة العربية في شخص الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وفي ذلك يقول البلاذري: (فاتهم بمالاة أبي لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة على قتل عمر ﷺ) [4] ويعلق الأستاذ توفيق الفكيكي على مؤامرة الهرمزان

(١) الرنق تراب في الماء ومن القذى ونحوه. انظر لسان العرب ج ١٠ ص ١٢٦ طبعة بيروت .

(٢) التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ج١ ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٧٤ الطبعة الأولى تعليق رضوان محمد رضوان القاهرة ١٩٣٢ م.

(٤) المصدر السابق ص ٣٧٤ .

ـ أبي لؤلؤة ـ فيقول: (وأن أول انتقام قام به المؤتمرون بنهاوند [1] اغتيال الخليفة العربي الثاني على يد المجرم أبي لؤلؤة بتحريض الهرمزان القائد المجوسي [2] ويؤكد الدكتور نبيه حجاب على علاقة الهرمزان بمقتل عمر فيقول: (... تلك الحركات التي بدأت بمقتل عمر بن الخطاب على يد فيروز أبي لؤلؤة المجوسي بإيعاز من الهرمزان) [3] .

وكذلك نرى زادوية وهو من قادة الفرس يدبر مع الخوارج مؤامرة خطيرة استهدفت حياة الإمام على « كرم الله وجهه » وبعض رجال العرب البارزين ويشير المبرد إلى هذه المؤامرة بقوله : (.. فقال عبد الرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليا ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي: وأنا أقتل معاوية، وقال زادويه مولى بني العنبر بن عمرو بن تميم: وأنا أقتل عمرًا، فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة) [4] ويبدو أن لزادويه دور كبير في هذه المؤامرة حمل الدكتور بديع شريف أن يقول: (أن المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الرابع لا تختلف عن المؤامرة التي ذهب ضحيتها الخليفة الثاني فقد رأس هذه الهرمزان ودبر تلك زادويه) [5] .

ويتآمر أبو سلمة الخلال ـ وزير آل محمد وأحد رجال الدعوة العباسية البارزين ، على الدولة العباسية ولما تقم بعد فقد (ستر أمرهم وعزم أن يجعلها « أي الخلافة » شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من

(١) مؤتمر نهاوند هو المؤتمر الذي دعا إلى عقده يزدجرد من أجل الوقوف في سبيل الزحف العربي وفي هذا المؤتمر أعلن يزدجرد (... ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم وانتقصكم السواد والأهواز وأوطأها لم يرض حتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم وهر آتيكم إن لم تأتوا لقد أضرب بيت ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتخلصوا هذين المصرين « يقصد البصرة والكوفة » ثم تشغلوه في بلاده وقراره ـ انظر الطبري ج ٤ ص ٢٣٦ الطبعة الحسينية) .

(٢) الفكيكي : الشعوبية والقومية العربية ص ١٥ بيروت ١٩٦١ م .

(٣) نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ص ٢٢٠ .

(٤) المبرد : الكامل في الأدب ج ٣ ص ٩٢٦ تحقيق زكي مبارك الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٥) بديع شريف : الصراع بين العرب والموالي ص ٣٣ .

أرادوا)[1] وكانت عملية الخلال هذه مؤامرة أراد بها إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين وجيوش العباسيين لازالت في حرب مع جيوش الأمويين فتتمكن القوات الفارسية من الانقضاض على الجيوش العربية المتنازعة وتقضي عليها فيعود الملك للفرس وقد أدرك الإمام جعفر الصادق عليه السلام أبعاد هذه المؤامرة فأخمدها في مهدها حين أحرق كتاب الخلال الذي أرسله إليه واقتنع عبد الله بن الحسن بسوء نية أبي سلمة وأنه ما كان مخلصًا للعلويين[2] . وأبو سلمة في مؤامرته هذه يدخل في عداد الشعوبيين.

وكان أبو مسلم الخراساني يعمل من أجل إعادة الملك إلى الفرس ويطمع أن يكون واليًا على خراسان ليبدأ بتنفيذ خطته فلما ولاه المنصور على بلاد الشام ومصر غضب وألقى بكتاب التعيين أرضًا وقال: (هو يوليني الشام وخراسان لي)[3] وترك الشام وتوجه يريد خراسان فأدرك المنصور نيته فألقى القبض عليه وحاكمه وقتله[4] .

والبرامكة أوقعوا الفتنة بين الهادي والرشيد[5] ، وبذروا بذرة الخلاف بين الأمين والمأمون في حمل الرشيد على أخذ البيعة للأخوين[6] ، وكانوا عاملاً في تقريب الفضل بن سهل إلى مراكز الدولة العليا فكان له دور كبير في إشعال الفتنة بين الأمين والمأمون[7] .

وإلى جانب أعمال البرامكة هذه فإنهم (استبدوا على الدولة واحتجبوا أموال الجباية ... وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم

(١) نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول ص ١١٤ . نشر وتعليق بطرس غريازنيوبيج موسكو ١٩٦٠م .

(٢) انظر المسعودي : مروج الذهب ج٢ ص ٢١١ ـ ٢١٢ المطبعة البهية .

(٣) الطبري : ج ٩ ص ١٦١ الطبعة الحسينية .

(٤) المصدر السابق ج ٩ ص ١٦١ .

(٥) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص ١٥١ ـ ١٥٦ الطبعة الأولى بيروت ١٩٦١ م .

(٦) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص ٢١١ تحقيق مصطفى السقا جماعته القاهرة ١٩٣٨ م .

(٧) المصدر السابق ٢٢٣ .

وصنائعهم)[1] فقربوا الشعراء ودفعوهم لإثارة الفتن وزرع الأحقاد في الصف العربي فقد عاتب أبان بن عبد الحميد البرامكة مرة (على تركهم إيصاله إلى الرشيد ... فقالوا له : وما تريد؟ فقال: أريد أن أحظى منه بمثل ما حظي به مراون بن أبي حفصة فقالوا له أن لمراون مذهبًا في هجاء آل أبي طالب به يحظى وعليه يعطي فاسلكه حتى نفعل)[2] .

وقد عني البرامكة بإحياء الثقافة الإيرانية فشجعوا الكتاب على وضع الكتب التي تتناول هذه الثقافة ونقل الكتب عن اللغة الإيرانية وأجزلوا المترجمين الهبات فلما نقل إبان بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة أعطاه يحيى ابن خالد البرمكي عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل بن يحيي خمسة آلاف دينار وتعهد جعفر البرمكي أن يكون من رواتها[3] ، وقد زاد يحيى البرمكي في إكرام إبان اللاحقي فجعل (امتحان الشعراء وترقيتهم في الجوائز إليه)[4] ومن المترجمين الذين لاقوا تشجيعًا من البرامكة إسحاق ابن يزيد الذي ترجم من الفارسية إلى العربية كتاب سيرة الفرس «اختيار نامه»[5] ومحمد بن الليث بن الخطيب بن إدريار الذي قدمته البرامكة وأحسنت إليه[6] وكذلك محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم وموسى بن عيسى الكردي وزادويه بن شاهويه الأصفهاني ومحمد بن بهرام ابن مطيار الأصفهاني وبهرام بن حردان شاه وعمر بن الفرقان[7] وكانت هذه الترجمة تستهدف إحياء الحضارة الإيرانية وتؤكد الفرضية الشعوبية التي تقول بأن الحضارة الإيرانية هي الحضارة الأم ، ومن أجل التفاخر على

(١) ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ١٥ ـ ١٦ المطبعة الأدبية بيروت ١٩٠١ م .

(٢) الأصفهاني : ج ٢٠ ص ٧٥ ـ ٧٦ وخزانة الأدب ٣ ص ٣٤٩ القاهرة ١٢٩٩ هـ .

(٣) الأغاني ج ٢٠ ص ٧٣ .

(٤) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٧٣ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٥٦ .

(٦) المصدر السابق ص ١٨١ و . Goldziher : Muhamadanische Studien , p. 161.

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٦ .

العرب وفي سبيل إثارة الوعي والثقة وروح التحدي في الشعب الإيراني ودفعه في المعركة ضد العروبة إلى أبعادها النهائية.

وقد احتضنت البرامكة مشاهير الشعوبيين فهذا علان الوراق الذي ألف أكثر من كتاب في ذم العرب كان منقطعًا إلى البرامكة وكذلك سهل ابن هارون الذي ألف في ذم العرب أكثر من رسالة يلقى حظوة عندهم كما كان حميد بن مهران وسعيد بن وهب يلقون رعايتهم واهتمامهم [1].

ولم يقف البرامكة عند هذا الحد بل ذهبوا إلى ناحية أخرى من نواحي المعركة بين الشعوبية والعروبة فتعرضوا بالذم لبعض ما يعتز به العرب وأشادوا بالأعاجم وإنتاجهم فقد حضر الفضل بن يحيى البرمكي مجلسًا للرشيد وكان الأصمعي حاضرًا فيه فسأل الرشيد الأصمعي: (أتروي كلمة عدي بن الرقاع : عرف الديار توهمًا فاعتادها ... قلت نعم قال هات فمضيت حتى إذا صرت إلى وصفه الجمل قال الفضل بن يحيى ... ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعنا من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب. فقال الرشيد: أسكت الإبل هي التي أخرجتك عن دارك واستلبت تاج ملكك ... ونهض الرشيد فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية ، فقال الرشيد: عقرتني يا غلام . فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم أما إنها لو كانت سندية لما احتجت إلى هذه الكلفة، فرد عليه الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض فلا تترك من جواب ممض) [2] ويعلق الأستاذ ليفي على موقف البرامكة فيقول: وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا زرادشتيين فإن عواطفهم وتقاليدهم كانت إيرانية ويتجلى ذلك في موقفهم من مواطنيهم واهتمامهم بالاحتفال بأعياد إيران القومية) [3] ، وإلى جانب مواقف البرامكة هذه فإنهم كانوا يعدون العدة لضرب السلطة

(١) المصدر السابق ص ١٦٠ و ١٨٠ و ٢٣٨ .

(٢) المرتضى : أمالي القسم الثاني ص ١١ ـ ١٣ القاهرة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م .

(٣) تراث فارس : مقالة فارس والعرب بقلم ليفي ص ١٠١ .

والاستيلاء على الحكم فقد أعد الفضل بن يحيى إبان ولايته على خراسان «جيش العباسية» الذي بلغ خمسمائة ألف جندي من الفرس [1]، ولما كان جعفر البرمكي رئيسًا لحرس الرشيد (اختار ألف جندي ووزعهم حرسًا لقصور الخلافة في جانب الكرخ) [2]. ويبدو أن جعفر البرمكي كان يعد مؤامرة قوية لقلب نظام الحكم فقد تحدث مرة في مجلس فيه جماعة كانت تشيد بموقف أبي مسلم الخراساني وكيف قلب دولة بني أمية فقال جعفر البرمكي: (... وماذا صنع أبو مسلم الخراساني ؟ ! إنه نقل الملك من أسرة عربية إلى أخرى بعد أن أزهق ستمائة ألف نفس سفك دمائهم صبرًا وإنما الرجل من ينقل الدولة من قوم إلى قوم بغير سفك دم) [3] وهذه إشارة صريحة من جعفر عن نيته في التآمر وإعداد العدة لضرب الدولة وقلب نظام الحكم ، إلا أن الرشيد كان يرقب تحركات البرامكة ويتتبع نشاطهم ولا سيما جعفر البرمكي منهم فألقي القبض عليهم وأودعهم السجن وأخذ جعفر وقتله في سنة ١٨٧ هـ [4].

وقد لعب بنو سهل والفضل منهم خاصة دورًا كبيرًا في تهديم مقومات الدولة العباسية فقد عمل على اشعال الفتنة بين الأمين والمأمون فأوحى للمأمون أنه في خطر إن هو بقي في بغداد بالقرب من أخيه الأمين وحمله على أن يطلب من الرشيد أشخاصه معه في رحلته الأخيرة إلى خراسان بحجة أن الرشيد (عليل وغير مأمون أن يحدث عليه حادث فيثب عليك أخوك فيخلعك) [5] وفعلاً لما اصطحب الرشيد المأمون معه إلى خراسان وصادف أن توفى الرشيد في رحلته هذه فأكد الفضل على المأمون ضرورة

(١) الجومرد : يزيد بن مزيد الشيباني ص ١٨١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣ـ ٢٠٤ .

(٣) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ٤ ص ١٦٤ تعليق حسين مؤنس الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٨ نقلاً عن كتاب (زينة المجالس) وهو باللغة الفارسية .

(٤) الطبري : ج ٣ ق٢ ص ٦٦٧ طبعة ليدن .

(٥) الجهشياري : الوزراء والكتاب ص٢٢٦ الطبعة الأولى تحقيق مصطفى السقا وجماعته .

البقاء في خراسان وصور له مواقف الأمين المعادية ولوح للمأمون بالنصر وكان يردد دومًا: (اصبر قليلًا وأنا أتضمن لك الخلافة) [1]، وقد أجج الفضل نار الحرب بين الأمين والمأمون والتي انتهت بقتل الأمين، فحبذ الفضل للمأمون البقاء في خراسان واتخاذ مرو عاصمة له، وحمله على أخذ البيعة لعلي بن موسى الرضي بولاية العهد [2] من أجل إيقاع الفتنة بين العلويين والعباسيين زيادة في الاختلاف الذي أوقعه بين العباسيين ليسهل عليه ضرب الجانب العربي والقضاء على السلطة العربية، وقد أدرك القائد العربي نعيم بن خازم مؤامرة الفضل هذه فذهب إلى المأمون وفصل له أبعاد المؤامرة التي حاكها الفضل بن سهل فقال مخاطبًا الفضل: (إنك تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة على وولده وهي البياض إلى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس) [3].

وقد تمكن الفضل بن سهل من تحقيق جانب كبير من مؤامرته فأعلنت بغداد تمردها على الخليفة المأمون وعزلته ونصبت عمه إبراهيم بن المهدي خليفة مكانه ولقبه المبارك [4] وقد عزل المأمون عن العراق تمامًا فقد كان الفضل يخفي جميع الأخبار والرسائل التي ترد عن الحالة في بغداد عن المأمون من أجل أن يستفحل الأمر ويحجز المأمون في خراسان ويقضي عليه ويعيد الملك للفرس.

لم يقف الفضل عند هذا الحد بل عمد إلى إحياء المراسيم الإيرانية المجوسية فكان (يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه) [5].

(١) المصدر السابق ص٢٧٨.

(٢) انظر الطبري ج٣ ص١٠١٢ طبعة ليدن. وابن قتيبة: المعارف ص١٦٩ـ ١٧٠.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٣.

(٤) المصدر السابق ص ٣١٣.

(٥) المصر السابق ص٣١٦.

وقد عمل الطاهريون وعلى رأسهم طاهر بن الحسين على تحقيق حلم الفرس في إعادة السلطان الفارسي ، فقد أسهم طاهر في قيام الإمارة الطاهرية في خراسان مساهمة كبيرة ، وكان سندًا قويًا للفضل بن سهل حيث قاد جيش المأمون ، وحقق نصرًا على جيش الأمين ، وكان قاسيًا مع الأمين فمثل بالأمين وقطع رأسه وأنفذه إلى المأمون [١] .

وقد احتضن طاهر بن الحسين الكتاب المعادية للعروبة ، فحينما وضع علان الوراق كتابًا (في مثالب بني هاشم ثم في بطون قريش ثم سائر العرب، ونسب إليهم كل كذب وبهتان وصله عليه طاهر بن الحسين بثلاثين ألف درهم) [٢] .

وحينما عين المأمون طاهرا واليا على خراسان أخذ يعمل على استغلال الظروف التي خلفها أبو مسلم الخراساني والراوندية والبرامكة والفضل بن سهل من أجل إقامة الإمارة الطاهرية فبدأ يضرب على وتر أخاذ في إعادة الدولة الإيرانية فأثار آمالا كبيرة والتف حوله أهل خراسان وحينما شعر بقوته بدأ يتمرد على المأمون فأمر بحذف اسمه من خطبة الجمعة وأمسك عن الدعاء له [٣] .

ومن جهود أبي مسلم والفضل بن سهل وطاهر بن الحسين قامت الإمارة الطاهرية في خراسان واتخذت مرو مركزا لها فتحقق أول أمل من آمال الشعوبية وكان قيام هذه الإمارة بداية لحركات انفصالية متلاحقة عن الدولة العربية سببت ضعفها وعجلت في انهيارها ، ومن خلال الإمارة الطاهرية عبرت الشعوبية عن كثير من آمالها وأحيت الثقافة الإيرانية وساعدت في تنشيط حركة أدبية واسعة باللغة الإيرانية [٤] .

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٤ .

(٢) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص٦٤ .

(٣) الدوري : العصر العباسي الأول ص١٣٠ .

(٤) بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ص٦٧.

وتظاهر الأفشين حيدر بن كاووس وهو من أسرة أمراء أشروسنة بالإسلام وأعلن ولاءه للدولة العباسية فارتفع في المناصب العسكرية حتى أصبح قائد قوات المعتصم [1] إلا أن الأخبار أخذت تشير إلى تآمره على الدولة ، فكان يجمع المال والسلاح ويعد الجيوش للانفصال والاستقلال وضرب السلطة العربية ، وكان مع إسلامه قد وجد في بيته (تمثال إنسان من خشب عليه حلية وجوهر .. وفي كتبه كتاب من كتب المجوس) [2] . وقد وقف المعتصم على رسالة كان قد بعثها أخو الإفشين إلى أخي المازيار أحد المتمردين على الدولة العباسية ، والرسالة تحمل خطة واسعة لقلب نظام الحكم العربي ومما جاء فيها (أنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك ، فأما بابك بحمقه قتل نفسه ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن ولاه في ما وقع فيه . فإن خالفت لم يكن للقوم ما يرمونك به غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا العرب والمغاربة والأتراك ، والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة ثم اضرب رأسه بالدبوس .. فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم) [3] ، إن نظرة إلى هذه الرسالة ترينا أنها كانت تعبر عن رأي الأفشين ليست عن رأي أخيه فهي تتحدث عن ثورات وخطط عسكرية وعن بابك وأخطائه وعن المستقبل والحلول له وهذا مما لم يتهيأ لأخي الأفشين التحدث فيه ، ورسالة تحمل آراء عنصرية معادية للعرب وتبيت لهم مؤامرة تستهدف القضاء على دولتهم فهي لهذا تدخل الأفشين في نطاق الشعوبية العنصرية .

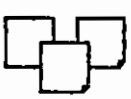

(١) الدوري : الجذور التاريخية للشعوبية ص٥٦ .

(٢) الطبري : ج١١ ص٤ الطبعة الحسينية .

(٣) المصدر السابق ج١٠ ص٣٦٧ الطبعة الحسينية .

المعاملة والشعوبية العنصرية :

كان عدد الأشراف من الموالي والشعراء والكتاب منهم محدودًا استطعنا أن نحكم عليهم من مواقفهم وأثارهم فكان الدور الذي قام به هؤلاء دور القادة في الحركة الشعوبية ، وقد أدرك هؤلاء القادة أن معظم الموالي مادة خصبة لتحقيق أهداف الحركة الشعوبية ، فعملوا على الاتصال بهم ودفعهم للاشتراك في الحركات التي قامت لتقويض أركان الدولة العربية ، ولما كان عدد هؤلاء الموالي كبير فمن الصعوبة أن نقف على أسمائهم وعلى ذلك فإننا سنعرض نشاط هؤلاء الموالي من خلال الحركات التي اشتركوا فيها والتي قامت في وجه الدولة العربية واستهدفت القضاء عليها .

فلقد أسهم قسم من الموالي في الفتنة التي ذهب ضحيتها الخليفة عثمان ابن عفان ﷺ وقد لمس الإمام علي (كرم الله وجهه) دورهم فعبر عن ألمه منهم بقوله: (يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم ملكوننا ولا نملكهم ها هم هؤلاء ثابت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابهم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا) [1] وكلمة «عبدانكم» تسترعي الانتباه ويبدو أن الإمام على «عليه السلام» أراد بها المسلمين من غير العرب لا سيما إذا تذكرنا دور عبد الله بن سبأ في هذه الفتنة وجولاته في العراق والشام ومصر من أجل تحريض الناس على المشاركة فيها وقتل الخليفة الثالث ، هذا إلى جانب ما يقرره الدكتور الجومرد من أنه (كان للموالي اليد الطولى في إثارة الفتنة على عثمان بن عفان وقتله) [2] .

وحينما أعلن الخوارج عصيانهم على الإمام على ﷺ وقرروا قتله وجدوا من زادويه الفارسي استعدادًا للمشاركة في هذه المؤامرة ، كما اشترك الموالي من الخوارج في تمردهم على الدولة العربية أيام الأمويين والعباسيين [3] .

---

(١) الطبري ج١ ص ٣٠٨١ طبعة ليدن .

(٢) الجومرد : الأصمعي ص٣٥ .

(٣) انظر المبرد : الكامل في الأدب ج٣ ص٩٢٦ و ٩٣٣ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى القاهرة ١٩٣٧م . والصراع بين العرب والموالي ص٣٢ ، ٣٣ .

وحينما أعلن المختار بن أبي عبيدة الثقفي حركته ضد الحكم الأموي انضم إليه الموالي في جموع ضخمة [1] فقد انخرط في جيش إبراهيم بن الأشتر الذي أعده المختار لمقاتلة الأمويين عشرون ألف رجل كان جلهم من أبناء الفرس بالكوفة [2] ، ومما يسترعي الانتباه أن هؤلاء الموالي كانوا يحقدون على العرب ، وقد عبروا عن سخطهم على لسان قائدها كيسان لان المختار بزعمهم قد أقبل مرة على العرب ، ولم ينظر إليهم فغضبوا ولم يقف غضبهم إلا بعد أن طمأنهم المختار ، وخاطبهم : (لا يشقن ذلك عليكم فأنتم مني وأنا منكم) [3] ، وبعد أن تعهد المختار لهم بـ (الانتقام من المجرمين العرب) [4] .

ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث على الدولة الأموية انضمت الموالي إلى صفوفه ، وكان عددهم (مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من مواليهم) [5] ، وكان سبب انضمام الموالي البغض والكراهية للعرب ، ومن أجل المشاركة في حرب لإزالة سلطانهم [6] .

ولما قامت الدعوة العباسية وجدت في عامة الموالي مادة لحركتها ونشاطها ولهذا انتقلت مراكز الدعوة من الحميمة إلى الكوفة ومنها إلى خراسان حيث مناطق تجمع الموالي ، وقد وجد الدعاة العباسيون في الموالي استعدادًا لقبول الدعوة والحماس للمشاركة في إزالة الحكم الأموي ، كما وجد خداش وهو أحد الدعاة المشهورين قبولًا لآرائه المناهضة للإسلام لاسيما في منطقة خراسان ، مما حمل قائد الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أن يكتب إلى الدعاة في خراسان مهددًا إياهم بخطر

(١) الدينوري : الأخبار الطوال ص٢٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص٢٩٣ .
(٣) الطبري ج٤ ص٥٠٩ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٩٣٩م .
(٤) المصدر السابق ج٤ ص٥٠٩ مطبعة الاستقامة .
(٥) المصدر السابق ج٥ ص١٥٦ مطبعة الاستقامة .
(٦) المصدر السابق ج٥ ص١٥٥ ـ ١٥٦ . مطبعة الاستقامة .

الآراء التي روجها خداش [1] والتي وجدت أرضًا خصبة لدى عموم الموالي فأخذوا بها ، وعملوا على ترويجها [2] ، وكانت تلك الآراء تنتشر بسرعة حتى أمست تيارًا قويًا دفع نصر بن سيار والي الأمويين على خراسان أن يكتب إلى الخليفة الأموي مروان الثاني معبرًا عن خطر هذه الآراء بقوله:

قوم يدينون دينا ما سمعت به ... عن الرسول ولم تنزل به الكتب
من يكون سائلا عن أصل دينهمو ... فإن دينهمو أن تقتل العرب [3]

ومما جاء في رسالة محمد بن علي قائد الدعوة العباسية من تهديد وتحذير من آراء خداش وما جاء في شعر نصر بن سيار وهما طرفان متناقضان يدلان دلالة واضحة على أن موقف خداش والموالي من الدعوة العباسية لم يكن من أجل نقل السلطة من الأمويين إلى العباسيين بقدر ما كان موجهًا لهدم الكيان العربي وتشويه مبادئ الدين الإسلامي .

ولما قامت الدولة العباسية قام كثير من الاختلافات بين الخلفاء وأشراف الفرس ، وكانت تلك الخلافات تشد فريقًا من الموالي إلى الأشراف ، فعلى أثر قتل أبي مسلم الخراساني أعلنت الراوندية تمردها على أبي جعفر المنصور ، وغلت فيه من أجل الطعن بمكانته [4] ، وقد انضمت أعدادًا كبيرة من الموالي إلى صفوف الراوندية سواء في العراق أو في خراسان، وكانت حركة المقنع [5] وحركة سنباذ [6] استمرارًا لتمرد

(١) الطبري ج٥ ص٤٦٧ . مطبعة الاستقامة .

(٢) نبذة من كتاب التأريخ للمؤلف المجهول ص٤٠ .

(٣) الدينوري : الأخبار الطوال ص٣٦١ ـ ٣٦٢ .

(٤) انظر الفخري في الآداب السلطانية ص١٣٧ مطبعة محمد علي صبيح القاهرة بلا تاريخ وابن الأثير الكامل ج٥ ص١٨٧ مطبعة التحرير القاهرة ١٣٠٣هـ .

(٥) انظر النوبختي : فرق الشعبية ص٦٨.

(٦) انظر ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص١٧ والفخري في الآداب السلطانية ص١٣٧.

الراوندية ، وتعبيرًا عمليًا عن السخط والكراهية للعرب ، ومساهمة فعالة من الموالي في الحركات التي استهدفت القضاء على السلطان العربي ، وإن مواقف هؤلاء الموالي تدخلهم في نطاق الشعوبية العنصرية .

من هذا العرض يمكن أن نقول أن الشعوبية العنصرية هي المظهر الثاني للحركة الشعوبية ، وعلى هذا المظهر أطلق المؤرخون الحكم بالشعوبية وذلك على آراء ومواقف وأشخاص (دفعت العرب عن كل فضيلة وألحقت بهم كل رذيلة وفضلت الشعوب الأخرى عليهم) [1] ، وادعت (أن الأمم كلها من الأعاجم في كل شق من الأرض ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة تنتجها .. ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ولا كان لهم قط نتيجة من صناعة ولا أثر من فلسفة) [2] وتظاهرت الشعوبية بالإسلام ، ورفعت شعار المساواة تغطية وتسترًا . ولهذا فالشعوبية العنصرية حركة تقوم على أساس عنصري يدفعها الحسد والحقد وفي هذا المعنى عرف ما كدو نالد الشعوبية: (بأنها الطائفة التي تفضل الأجناس الأخرى على العرب) [3] .

ولقد افترضت الشعوبية فرضيات موهومة لتبرر هجومها على العرب والحط من مكانتهم فزعمت (أن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام والعرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإسحاق بن سارة الحرة وإسماعيل بن هاجر الأمة فهم أفضل من العرب لأنهم الأحرار وأما العرب فبنوا اللخناء) [4] .

وقد جسمت الشعوبية العنصرية أخطاء العرب وذهبت إلى اعتبار الخطأ الواحد الذي وقع بصورة فردية خطأ عامًا يشمل العرب كلهم

(١) محمد كرد علي : رسائل البلغاء ص٣٤٤ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٥ تحقيق أحمد أمين وجماعته .

(3) Enxuclopaedia of Islam, vol. 4, p. 395.

(٤) رسائل البلغاء ص٢٦٥ .

فكانت تستغل ما (صدر عن كل قبيلة من بيت تعير به أو عمل تؤاخذ عليه أو جريمة ارتكبها أحد أفرادها فقيدتها وأذاعتها للتشهير بالعرب جميعا)[١].

وقد رفعت الشعوبية العنصرية شعار المساواة متظاهرة بالإسلام لاسيما في الفترات التي تشتد فيها المقاومة العربية مما حمل بعض الكتاب أن يعرفوا الشعوبية (بأنهم أهل التسوية) [٢] وإن الشعوبية (فرقة لا تفضل العرب على العجم) [٣].

ولم تكن الشعوبية العنصرية حركة منظمة لأنها لم تكن عقيدة محدودة الآراء والمبادئ إنما هي نزعة عدائية لذلك عرفها الفيروزأبادي بقوله والشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية) [٤] ولذلك لا نستطيع حصر معتنقي الشعوبية فهم من أقوام عدة وديانات مختلفة ومستويات اجتماعية متباينة) [٥] إلا أن شروط الشعوبية العنصرية الكراهية للعرب والطعن في العرب وحضارتهم والعمل على هدم سلطانهم والإشادة بشعب آخر على حساب ومما ذكرنا يمكن أن نعرف الشعوبية العنصرية بأنها مجموع الأشخاص والمواقف والآراء المعادية للعرب التي ذهبت في ذمهم كل مذهب وعملت على تشويه حضارتهم وهدم كيانهم وفضلت غيرهم من الشعوب عليهم متظاهرة بالإسلام حينًا ، وبالولاء القبلي والحزبي أحيانًا ورفعت شعار المساواة تسترا وتغطية من أجل تمرير مؤامراتها وتحقيق أهدافها .

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص٥٩ .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٣ ص٤٠٣ تحقيق أحمد أمين القاهرة ١٩٤٢ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ج١ ص٥٠٠ بيروت ١٩٥٥م .

(٤) الفيروزأبادي : القاموس المحيط ج١ ص٨٨ الطبعة الثالثة ١٣هـ ١٩٣٥م .

(٥) أحمد أمين : ضحى الإسلام ج١ ص٥٩ ـ ٦٠ .